سبيل الإصابة في فن الخطابة

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهَّاب، الرحيم التَّواب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، يحبُّ التوَّابين والمتطهِّرين، ويغفرُ للمُنيبين والمستغفرين، ويقيلُ عثرات العاثرين، ويقبلُ اعتذارَ المعتذرين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله ولي الصَّالحين، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، وصفيُّهُ من خلقِهِ وخليلُهُ، خاتمُ الأنبياء، وسيِّدُ الأصفياءِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ الأتقياء ، ومن سار على دربهم من المخلصين الخلصاء ، المصفين الحنفاء .

وبعد .. ؛

فإن الخطابة رسالة ومهارة يتجلى فيها اتصال المرسل أو الملقي، وهو الخطيب بالمتلقي أو المستمع، ولن تصل الرسالة للمستقبل إلا إذا كانت هذه الرسالة دقيقة العنوان واضحة العناصر والمعاني خارجة من القلب فتلج إلى القلب فما خرج من القلب دخل إلى القلب، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان.

واللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعل الجيوش الجرارة والكتائب الهدارة والجنود المغامرين ، واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة، ويناجي الخلد بلا حجاب، ويشاجي البصائر بما أراد.

وبالخطبة المؤثرة الواصلة يدرك حداة الحق وروّاد الفضيلة مطالبهم، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان ويسخو البخيل وينبل الخامل ويجاهد القاعد ويثابر المحطَّم ، وعند سماع الخطبة يُطعَم الفقير ويُكسى العاري ويُعان المنكوب ويُمسَح دم المصاب.

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: " إني أحاول أن ألقي اليوم خطبة ، فلا تقولوا قد شبعنا من الخطب ، إنكم قد شبعتم من الكلام الفارغ ، الذي

يلقيه أمثالي من مساكين الأدباء ، أما الخطب فلم تسمعوها إلا قليلاً ، الخطب العبقريات الخالدات التي لا تنسج من حروف ، ولا تؤلف من كلمات ، ولكنها تنسج من خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب ، وتحاك من أسلاك النار التي تبعث لهب الحماسة في كل نفس .

ولا تقولوا : وماذا تصنع الخطب ؟ إن خطب ديموسئين صبت الحياة في عروق أمة كادت تفقد الحياة ، وهي كلمات وقفت سداً منيعاً في وجه أعظم قائد عرفته القرون الأولى ، الإسكندر ، ووجه أبيه من قبله : فيليب .

وخطبة طارق هي التي فتحت الأندلس . وخطبة الحجاج أخضعت يوماً العراق ، وأطفأت نار الفتن التي كانت مشتعلة فيه ، ثم وجهته إلى المعركة الماجدة ، ففتح واحد من قواد الحجاج أكثر مما فتحت فرنسا في عصورها كلها ، وبلغ الصين ، وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلها ، فاستقر فيها إلى يوم القيامة ، ذلك هو قتيبة بن مسلم .

ولما اجتاح نابليون بروسيا ، ما أعاد لها حريتها ، ولا ردَّ عليها عزمها ، إلا خطب (فِختِه) التي صارت لقومه كالمعلقات يحفظها في المدارس الطلاب.

انظر : هتاف المجد للشيخ علي الطنطاوي ص (٣٣) .

والخطابة فن من فنون الكلام يُقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر فيبين ويوضح لهم ما يلفظ به، فكلما كان الكلامُ نابعًا من أعماق القلب، وفيه تجرد وإخلاص لله تعالى فإنه سيصل إلى القلوب بقدرةِ علام الغيوب.

قال محمد بن عبد الوهاب بن حبيب العبدي ، قال : سمعت أبي يقول : كنا نأتي مالك بن أنس نجلس في دهليز له وعليه مصراعان فتجيء هاشم فتجلس ، وتجيء قريش فتجلس على منازلها ، ثم نجيء نحن فنجلس وتخرج جارية له بالمراوح فيأخذ الناس يتروحون فيقول الشيخ بالمصراع

فيفتحه فيخرج فينظر إلى قريش كأنما على رءوسها الطير إذا نظـروا إليـه إجلالا ، قال : وفي ذلك يقول ابن الخياط:

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * * * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى * * * فَهُوَ الْأَمِيرُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

والخطابة لون من ألوان الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، كما قال عزّ من قائل : " قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَـصِيرَةٍ أَنَـاْ وَمَـنِ اتَّبَعَنِـي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " سورة يوسف: ١٠٨ .

وكما قال : " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " سورة آل عمران:١٠٤ .

وقال : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْـذَرُونَ (١٢٢) سورة التوبة .

والخطبة سواء كانت خطبة الجمعة أم غيرها لها ثمار جمة وفوائـد كثيـرة منها :

١ – أنها من وسائل نشر الدعوة إلى الله تعالى .

٢ – وسيلة من وسائل استمرار التواصل بين الناس .

٣– الجو الرُوحاني الذي تتم فيه الخطبة ، وشعور الـمرء وهو يستمع إلى الخطبة أنه في عبادة ، وطاعة لله ، هذا الشعور الذي يضفي على الـمرء قدرًا من الـمهابة والخشوع ، ويُحْدِث في نفسه قدرًا من الطمأنينة والسكينة ، ومزيدًا من الرضى والسعادة.

٤– الخطبة وبخاصة خطبـة الجمعـة باسـتمرارها وتكرارهـا ، وبتنـوع موضوعاتها ذات آثار عظيمة في تربية الأمة ، وتصحيح عقيدتها ، وتقـويم مسلكها ، وتجنيد طاقاتها لخدمة عقيدة الإسلام ، ونصرة دين الله .

وهذه الرسالة : " سبل الإصابة في فن الخطابة " تتحدث عن :

أولا : مفهوم الخطبة وخصائصها .

ثانيا : كيفية إعداد الخطبة .

ثالثا : الأساليب النبوية في الخطبة .

رابعاً : صفات الخطيب وعناصر نجاح الخطبة.

خامساً : فن الإلقاء وعيوب الخطبة والخطيب.

اللهم علمنا ما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا وزدنا علما، اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم اغننا بالعم وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية ،اللهم إنا نسألك علما نافعا ونعوذ بك من علم لا ينفع ،اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ،اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة ونسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ونسألك القصد في الغنى والفقر ،ونسألك نعيما لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع ونسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ونسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء أو مضرة ولا فتنة مضلة ،اللهم زينا بالإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ٣ ذو القعدة ١٤٣١ هـ = ١١ أكتوبر ٢٠١٠ م

أولا : مفهوم الخطبة وخصائصها

١- مفهوم الخطابة ونشأتها :

الخطابة في اللغة: مصدر كالخطاب، توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، وفي اصطلاح الحكماء: مجموع قوانين يقتدر بِها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد، والإقناع حمل السامع على التسليم بِصحَّة المقُول، وصواب الفِعْلِ أوِ التَّرْكِ.

وهو نوعان: برهاني، وخِطابي؛ وغاية الأوَّل: إذْعَانُ العَقْلِ لنتيجةٍ مبنيَّة على مُقَدَّمات ثَبَتَتْ له صِحَّتُها كقولنا: الأربعة زوجٌ؛ لأنَّهُ مُنْقَسِمٌ بِمتساوِيَيْنِ، وقولنا: العالم حادث لأنه متغيِّر، وغاية الثاني: إذعان العقل بِصِحَّة المَقول وصواب الفعل أو الترك بأقيسةٍ مؤلَّفة من أقوال مَظنونة، أخذ فيها بِالمُحتمل الراجِح، أو مقبولة صَدَرَتْ مِمَّنْ يُعْتَقَدُ صِدْقُه وسدادُ رَأْيه.

ووصف بالمُمكن: لأنَّ شَأْنَ هذه الصناعة إعدادُ النفوس لقوة الإقناع، وإن لم تبلغ غايتها، وكذا الشأن في سائر الصنائع فإنها تعد النفس لعمل خاص بمقتضى قوانين محدودة، وإن لم تبلغ غايتها أحيانًا؛ مثلاً: الطب ترشد أصوله إلى معالجة الأمراض لغاية الشفاء ما لم يكن مانع.

وفي أي موضوع يراد؛ لأنَّها لا تَخْتَصُّ بِشَيْءٍ مُعَيَّن، بَلْ تَتَنَاوَلُ كل شيء بخلاف غيرها من الصناعات؛ فمثلاً الخط: ينظر في رسم الحروف وهيئتها، والطب ينظر في أحوال جسم الإنسان والحيوان من جهة الصحة والمرض، فقد روى العلامة ابن رشد عن أرسطو: أن الخطابة ليس لها موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره، فإنَّها تتناول كل العلوم والفنون، ولا شيء حقيرًا كان أو جليلاً، معقولاً أو محسوسًا إلا يدخل تحت حكمها، ويخضع لسلطانها، ومِن ثَمَّ قال الباحثون في شأنِها: يلزم أن يكون الخطيب ملمًّا بكل العلوم والفنون ما استطاع، وأن يسعى دائبًا إلى أن يزداد كل يوم علمًا.

وصفوة القول أنَّ الفلاسفة اعتبروا الخطابة علمًا له أصول وقوانين، تمكن الدارس لها من التأثير بالكلام، وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب في أي غرض من الأغراض الكلاميَّة، وأنه يعنى بدراسة طرق التَّأثير، ووسائل الإقناع، وما يلزم أن يكون عليه الخطيب من صفات وآداب، وإلمام بميول السامعين، وما ينبغي أن تكون عليه أساليب الخطبة، وترتيب أجزائها، وهو بهذا نبراس يُهْتَدَى به، ومصباح ينير السبيل أمام من عنده استعداد للخطابة ليربي ملكته، وينمي استعداده.

وأما عن نشأة الخطابة : فبما أن الخطابة لون من المحادثات، فالمحادثات رافقت الإنسان منذ وجوده على التحقيق، ولكن الخطابة تميَّزت بحقيقتها عن مطلق محادثة إلى فَن، واختصت بالجماهير دون الأفراد، وقصد بها التأثير والاستمالة، لا مجرد التعبير عما في النفس.

إذًا فلا بد أن تكون في نشأتها قد خطت خطوات تطور وتخصص من حديث إلى فن، ومن أفراد إلى جماهير، وكانت نشأتها استجابةً لما دعت إليه حاجة الجماهير بعد توسُّع ميادين الحياة وتعدُّد اتجاهاتها، وما يصحبه من اختلافات تدعو إلى توحيد فكر، أو إقناع برأي، والتأثير على المخاطبين، وإذا لاحظنا الأديان والرسالات السابقة أدركنا مقتضيات وجودها ونشأتها كفن متميز.

فهي إذًا وليدة رقي فكري، وتقدُّم اجتماعيٍّ، قضت زمنًا حتى ارتفعت وتميَّزت أولاً بالجماهير، وثانيًا اختصَّت بأغراض خاصة ومواقف معيَّنة، وثالثًا اتَّسَمَت بأسلوب وهيئة حتَّى وَصلت إلى عصور التاريخ والتدوين على الحالة الَّتي وَصَلت إليها من حقيقة مميزة عن غيرها، ولم تَزَل في رقيٍّ وتقدُّم حتى أصبحت عنوانًا على منزلة الأمم ومكانتها كما في وَفد العرب على كسْرى.

والخطابة في الإسلام جزء لا يتجزأ من كيان الأمة الشامخ ، ولسانها الناطق ، وحبر قلمها السيال ، وحركات بنانها الحثيثة ، لها شأن جليل ، ومقصد

نبيل ، وأثر ليس بالقليل ، هي منبر الواعظ ، ومتكأ الناهض ، وسلوان من هو على دينه كالقابض ، لا يعرف وسيلة في الدعوة أقرب إلى التأثير منها ، ولا وقع أشد – في التلقي بالقبول في نفوس الناس – من وقعها ، وهي مهنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، ومبتدؤه وخبره بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه ، كما أنها ميدان الدعاة الرحب ، ومنهل الظامئين العذب ، وسهل الواطئين الرطب . انظر : سعود إبراهيم الشريم : الشامل في فقه الخطيب والخطبة ص ٣ وما بعدها .

وقد اشتهر في أمة الإسلام خطباء كثيرون يصعب حصرهم ، غير أن من أشهرهم علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم ، وهو الذي قالوا عنه : إن ابن عباس : خطب بمكة وعثمان رضي الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا . وقد ذكره حسان بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل * * * بملتقطات لا ترى بينها فضلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * * * لذي إربةٍ في القول جداً ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة * * * فنلت ذُراها لا دنيّاً ولا وغلا

وقال الحسن : كان عبدالله بن عباس رضي الله عنه أول من عرف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ، ففسَّرهما حرفاً حرفاً . وكان والله مِثجّاً يسيل غرباً . انظر : البيان والتبيين للجاحظ ص (١٧٤) .

وكان من الخطباء أيضاً عطارد بن حاجب بن زرارة ، وقد قال فيه الفرزدق بن غالب :

ومنا خطيب لا يُعاب وحاملٌ * * * أغرُّ إذا التفَّت عليه المجامع

وكان من الخطباء المشاهير أيضاً عبدالله بن عروة بن الزبير ، وزيد بن علي بن الحسين ، والفضل بن عيسى الرقاشي ، وقس بن ساعدة ، وعمرو بن سعيد الأشدق ، وأبو الأسود الدؤلي ، ومنهم أيضاً شبيب بن أبي شيبة ،

والحسن البصري ، وبكر بن عبدالله المزني ، ومالك بن دينار ، ويزيد الرقاشي ، ومحمد بن واسع الأزدي ، وغيرهم كثير وكثير ، ليس هذا محلاً لحصرهم .

٢- أهمية الخطابة وآثارها :

تعتبر الخطابة أثرًا من آثار الرقي الإنساني ومظهرًا من مظاهر التقدم الاجتماعي، ولهذا عُنِيَ بها كل شعبٍ، واهتمت بها كل الأمم في كل زمانٍ ومكانٍ، واتخذتها أداةً لتوجيه الجماعات، وإصلاح المجتمعات.

وقد كان للعرب في ذلك الحظُّ الأوفى، فحفلوا بها في الجاهلية وساعد عليها وجودُ عدة أسبابٍ اجتماعيةٍ أدت إلى ازدهارها ورفعة شأنها، فوصلت إلى القمة وتوَّجت بالشرف والاعتزاز من تلك الأسباب ما يأتي:

١ – طبيعة مواضيع الخطابة: وهي إما حثٌّ على حربٍ، أو حض على سلمٍ، وبطبيعة الحال لا يتعرض لهذه المواضع إلاَّ من كان سيدًا مطاعًا؛ لأنه الذي يُسمَع قوله ويطاع أمره في مثل تلك المواقف، وهو الذي يملك إعلان الحرب وقَبول الصلح.

٢ – التهاني أو التعازي، وإذا أرادت قبيلة أن تهنئ قبيلةً أخرى بمكرمةٍ، كظهور فارسٍ أو نبوغ شاعرٍ أو غير ذلك، فإنها ستوفد من طرفها من يؤدي ذلك عنها، وبطبيعة الحال أيضًا لن تختار إلاَّ من أشرافها ليمثلوها ويعبروا عنها.

٣ – المفاخرات والمنافرات، ومن عادة هذين الغرضين ألاَّ يقعان إلاَّ بين قبيلين عظيمين، يرى كل قبيلٍ منهما أنه أعلى وأعظم من القبيل الآخر، فيرفع من شأنه ويحط مِن قدر مَن يقابله، وعليه فلن يتقدم لتعداد المفاخر إلاَّ الفضلاء، كل ذلك يجعل مهمةَ الخطابة فاضلة نبيلة، ويرفعها إلى المكانة العالية.

٣- طرق تحصيل الخطابة:

الأول: الفطرة والاستعداد الغريزي؛ وهذا هو الأساس.

الثاني: معرفة الأصول والقوانين التي وضعها الحكماء.

الثالث: الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء ومصاقع الخطباء، ودراستها دراسة متعرِّف لمناحي التأثير وجهات الإقناع فيها، ومتذوّق لما فيها من متانة الأسلوب وحسن العبارة وجودة التفكير، قال ابن الأثير في "**المثل السائر**": إنَّ في الاطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس $ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فهذه الأشياء مما تقوي الذهن وتزكي الفطنة، وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفًا بها تصير المعاني التي تعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منها ما أراد، وأيضًا فإنه إذا كان مطلعًا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه، وعلى الجملة فدراسة كلام البلغاء تقدم للقارئ ألوانًا من المعاني والأساليب تنمي فيه ملكة الخطابة.

قال الشاعر :

وَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ * إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرِّجَالِ فَلَاحُ**

الرابع: الارتياض والاحتذاء لأن الخطابة – كما علمت – ملكة نفسية، لا توجد دفعة واحدة؛ بل لا بدَّ لطالبها من الممارسة والمران كي تنمو مواهبه. فالارتياض هو التدريب على الخطابة، فإنَّ ملكَتَها تنمو وتقوى بالمرانة والممارسة.

قال خالد بن صفوان: إنَّما اللسان عضو إن مرَّنْتَهُ مرن، فهو كاليد تخشنها بالممارسة، وكالبدن تقويه برفع الحرج، والرِّجل إذا عودت المشيَ مشتْ.

قال صفي الدين الحلي:

لئن ثلمتْ حدّي صُروفُ النّوائبِ * فقدَ أخلصتْ سبَكي بنارِ التَدارِبِ**

٤- خصائص الخطابة :

بالنظر إلى أنواع النثر مِن حِكَم وأمثالٍ ووصايا ومفاخراتٍ ونحوها وخطابةٍ ومحاضراتٍ، نجدها كلها ما عدا الخطابة والمحاضرة تسير في مجال فردي، ويتسم أغلبها بالاختصار والإيجاز، وتؤدِّي بأي أسلوب، ويؤديها أيُّ إنسان.

أما الخطابة فهي تخص الجماهير، والخطيب قد يواجه جمهورًا مختلف الطبقات، متنوع المشارب، مختلف المسالك، وقد يشتمل على من لا يعرفهم ولا يعرفونه.

ثم هو يتقدَّم إليهم موجهًا ومرشدًا وقد يكون آمرًا ناهيًا، فعليه أن يستميلهم إلى جانبه ويقنعهم بمذهبه ويقودهم إلى مسلكه.

وقد تكون الفكرة جديدة عليهم، أو ثقيلة على نفوسهم، مما يؤدي إلى تردد أو امتناع، ومن ثم فعليه أن يروض نفوسهم وإن كانت جامحة، ويقنع أذهانهم وإن كانت معاندة، فيصبح قائدًا للجماهير الأبية، ومحققًا لرغباته من كافة سامعيه، على اختلاف وجهاتهم، وليس هذا بالأمر الهيِّن، فقد يقدر الإنسان على ترويض الوحوش الكاسرة وتذليل الحيوانات النافرة، ويعجز عن استمالة بعض النفوس؛ لأنها فوق هذا وذاك .

ليس كل إنسان يحسن الخطابة ! وليس كل عالم ومثقف يمكن أن يكون خطيباً ! بل ثمة أمور إذا اجتمعت للمتحدث أمكن أن يكون الخطيب المرتقب ، والمتحدث المفوّه ، الذي يجعل من خطبته تربة الغراس اليانعة ، ومناخ الإصلاح والانطلاق، وربيع الجد والمسارعة. **حمزة بن فالح الفتحي : هيبة المنبر ص٦.**

وللمنبر مكانته وهيبته لأسباب كثيرة منها :

١- الإحساس الشرعي بأهميته وعلوه ، وأنه من أزكى الطاعات وأعلا المقامات.

٢- مخافة الزلل فيه ، والتقصير في أدائه ، وخشية التغافل عنه.

٣- إجلال الجماهير له ، واحترامهم لمرتاديه والمتسنمين ذروته وقامته .

٤- صعود الفضلاء له من الأنبياء وأتباعهم من العلماء المصلحين والمؤثرين ، وليس كل من اشتهاه ارتقاه !.

٥- توالي التبعات بالكلمات المرصوفة ، والحجج الدامغة على نفسية الخطيب ، لأنه من أكثر الناس نصحاً ، ومن أوائلهم باستحقاق التبعة ، وإقامة الحجة. قال تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ). **البقرة:٤٤].**

٦- الانبهار بمجيديه ومتقنيه ، وكثرة ثناء الناس عليهم ، مما يخشى فساد النية ، والتحول إلى مثوى الغرور والعجب .

٧- كشف المستوى العلمي والفكري لدى الخطيب ، حيث إنه يعرض عقله كل جمعة ، ويقدم بضاعته كل أسبوع ، مما يمكن الناس من معرفة قدراته ، والإحاطة بمحاسنه ومساوئه .

٨- محك اختبار المنطق وسيلانه ، أو تعقده وانقباضه كما قد حصل لغير واحد ، انشلت قدراته الكلامية ، وتعطلت مداركه الفكرية .

عن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فأرتج عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال. وفي البصرة أقام زياد رجلاً من الأزد للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر، وقال الحمد لله، أرتج عليه، فقال: قد والله هممت ألاّ أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي :نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها، فأطعتها، فوقفت هذا الموقف، فاشهدوا أنها طالق .فقالوا له: انزل قبحك الله.وأنزلوه إنزالا عنيفاً من المنبر .

وصعد عتّاب بن زرقاء منبر أصبهان فحمد الله فأرتج عليه، فجعل يقول: أمّا بعد ، أمّا بعد ، فإذا أمام وجهه شيخ أصلع فقال :أما بعد يا أصلع، فوالله ما غلّطني غيرك، عليّ به، فأتي به فضربه بالسوط.

وجاء عن عبد الله بن عامر أنه خطب الناس بالبصرة في عيد الأضحى ، فلما صعد المنبر حُصِر ، فمكث مدة ثم قال : والله لا أجمع عِياً وبخلاً ، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها علي .

ودعي مصعب بن حيان إلى عرس ، فطلب منه أن يخطُب خُطبة النكاح ، فلما رأى الناس هاله المشهد وحُصِر ، فسكت قليلاً ثم قال : أيها الناس ، لقنوا موتاكم لا إله إلا الله . فقالت أم العروس : عجل الله موتك إلهذا دعونا !! .

وأذكر أن أحد الإخوة المبتدئين ، جاء ليخطب الجمعة ، فدخل الجامع وهو ينتفض من الخوف ، فسلم وجلس وبدأ المؤذن يؤذن ، وفي هذه الأثناء أراد أخونا أن يتسوك فأخرج السواك وبدأ يتسوك بشدة ، فإذا بالدم يسيل من فمه لماذا؟ الأخ كان يتسوك بالقلم ، وبسبب الخوف لم يكن يشعر بالألم حتى رأى الدم.

كما قد نقل عن بعض أمراء خُراسان واسمه ثابت قطنه . أنه صعد المنبر فارتج عليه ، فنزل وقال :

فإن لم أكن فيكم خطيباً فإنني * * * بسيفي إذا جدَّ الوغى لخطيبُ

فقال له الناس : " لو قلتها على المنبر لكنت أخطب الناس".

واستعمل معاوية عاملا من قبيلة كلب ، فخطب يوما ، فذكر المجوس فقال : لعنهم الله ! ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أمي . فبلغ ذلك معاوية فقال : قبحه الله ! أترونه لوزادوه فعل ! وعزله .

قال أبو الأسود لابنه : يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويجب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة ، فلما كان اليوم الثالث قال أبوه : ما فعلت ؟ قال : قد حفظتها. قال : وما هي ؟ قال اسمع : الحمدلله ، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا اله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ؛ فقال له أبوه : أمسك لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء .!

ثانيا : كيفية إعداد الخطبة

إذا أردت أن تكتب موضوعاً أو خطبة بليغة ذات تأثير وبيان أن تراعي هذه النقاط :

أولا: أن تنظر في نفسك ماذا تريد أن تكتبه وما تريد قوله في خطبتك ثم تطرق أبواب فؤادك لينثر عليك بإذن الله ما يوحيه إليه عقلك فتتأسس العناصر الهامة أولا لانطلاق كتابة خطبتك.

ثانيا: أن تعيش مع المسجد وأهله والحي والمجتمع ثم العالم خلال الأسبوع لتنطلق إلى كتابة خطبة عصرية واقعية فتعالج من خلالها الآلام والجراح وتسد بها الثغور وتشفي بها العلل فيكون لها التأثير العظيم في نفوس السامعين.

ثالثا: ليكون مرجعك كتاب الله ثم كتب السنة إلى آخر ذلك من المراجع ثم شريط أحداث الواقع الذي تعيشه الأمة والعالم لتقطف ثمار البلاغة وجوامع العلم والحجة الدامغة والبيان المشرق، وإن من البيان لسحرا، واحرص – أرشدك الله – على الاختصار في تلخيص الكلمات القليلة التي تحمل في طياتها المعاني الغزيرة.

رابعا: ولتكن خطبتك ذات أسلوب راقي في طريقة الإلقاء مكثفة بالأدلة الدامغة من الكتاب والسنة والأخبار الصحيحة والشعر العربي، مزينة بتخريج الأحاديث الصحيحة، خالية من الخرافات والبدع والقصص والروايات الباطلة المكذوبة، قصيرة بليغة، كما أراد الخطيب العظيم والمعلم الناصح صلى الله عليه وسلم .

ويشتكي كثير من الخطباء من كيفية اختيار الموضوع ، وبعضهم يُرجع سبب ذلك إلى ندرة الموضوعات التي يمكن أن يتناولها الخطيب وتناسب الكثير من الناس ، ولا سيما أن الخطبة تتم كل أسبوع.

وقد يكون السبب الرئيس لهذه النظرة عند الخطيب هي: قلة علمه ، ومحدودية اطلاعه ، وضعف نظرته إلى واقع الناس. وإلا فإن الخطبة لو كانت تتكرر يوميًا لما استطاع الخطيب أن يعالج جميع الموضوعات التي يحتاجها الناس في هذا العصر المتغير ، الذي كثرت فيه الفتن ، فالناس يحتاجون إلى تقوية إيمانهم ، وترسيخ عقيدتهم، والقضاء على ما تخللها من انحرافات من أقوال أو أفعال قد تناقضها بالكلية ، أو تنقص كمالها.

والناس يحتاجون إلى تصحيح عباداتهم ، ويحتاجون إلى بيان الحكم الشرعي في كثير من المعاملات والعادات التي تتجدد باستمرار ، غير ما يفِدُ إليهم من خارج مجتمعهم ، ويحتاجون إلى الحث على مكارم الأخلاق والتنفير من مساوئها ، وإلى ترقيق القلوب ، والتذكير بالآخرة.... ، والموضوعات كثيرة جدًا.

ويمكن تقسيم الجُمعات إلى قسمين:

القسم الأول: جمعات توافق مناسبات مهمة: وهذه المناسبات على نوعين:

أ ــ مناسبات طارئة: كحدث يحصل في الحي أو البلد واشتهر وعرفه الناس ؛ فهم ينتظرون من الخطيب رأيه فيما حدث ، ومنها أيضًا قضايا المسلمين التي تشتعل بين حين وآخر: كقضايا فلسطين ، والعراق ، والصومال ، والشيشان ، ونحوها.

وينبغي للخطيب أن يعالج مثل هذه الموضوعات معالجة شرعية ، تبين حجم القضية الحقيقي بلا مبالغة ولا تهوين ، ومن ثَمَّ يبين موقف المسلم في هذه القضية ، وما يجب عليه تجاهها ، فلا يكفي مجرد عرضها.

ب ــ مناسبات متكررة بتكرر الأعوام: كرمضان والحج وعاشوراء ، والتحذير من البدع المحدثة ونحوها.

وهذه الـمناسبات مريحة عند كثير من الخطباء ؛ إذ لا يحتاجون إلى إعـداد خطب جديدة في موضوعاتها ، ولربما حفظ الناس خطبهم فيها مـن كثـرة ترديدها ، وأصابهم الـملل منها.

بيد أن هذه الـمناسبات تُقلق مَن يهتمون بخطبهم ، ويحبون التجديـد فـي موضوعاتها ، ويودون إفادة الناس بكل وسيلة ممكنة.

ولتلافي التكرار في كل عام يمكن تفتيت الـموضوع الواحد إلى موضوعات عدة في كل عام يطرق الخطيب منها موضوعًا.

وبالـمثال تتضح الصورة: درج الخطباء في ثالث جمعة من رمضان علـى الحديث عن غزوة بدر الكبرى ، ويقدمون لها بمقدمة عن نـصر الله تعـالى لعباده ، وكون رمضان شهرًا للانتصارات والأمجاد ، ويسردون عـددًا مـن الـمعارك التي وقعت في رمضان ، غزوة بدر ، وفتح مكة ، وعين جالوت ، وفتح الأندلس ونحوها ، ثم يخصصون الخطبة بكاملها عـن غـزوة بـدر ، وهكذا في كل عام.

ومن الـممكن لتلافي التكرار جمع الغزوات والأحداث الكبرى التي وقعت في رمضان ، واختيار واحدة منها في كل عام للحديث الـمفصل عنها. ويمكـن أيضًا تفتيت الغزوة الواحدة إلى عدة موضوعات ، في كل عام يطرق جانبًـا جديدًا منها.

فغزوة بدر مثلًا يمكن إنشاء خطب عدة منها ، كل واحدة تتناول جانبًا مختلفًا ، فتكون مجموعة من الخطب موضوعاتها كالتالي:

١ـ سرد أحداث الغزوة كما في كتب السير ، وهذا يعمله أكثر الخطباء كـل عام.

٢ـ وصف حال الـمسلـمين قبـل الغـزوة (الهجـرة ـ الـمطاردة ـ الـمحاصرة ـ الضعف ـ القلة ـ الخوف).

وحالهم بعدها (ارتفاع معنوياتهم بالنصر ــ عز الإسلام ــ قوة المسلمين ، رهبة اليهود والمنافقين).

٣ــ وصف حال الفريقين المتقابلين: حال المؤمنين: (الدعاء ، الحماس للقتال ، التضحية والفداء ، التعلق بالله تعالى).

حال المشركين (الكبرياء ، محادة الله ورسوله ، الاعتداد بالنفس ، الاغترار بالكثرة ، ممارسة العصيان ، شرب الخمر وغناء القينات ، كما هو قول أبي جهل).

٤ــ تأييد الله لأ لعبادة المؤمنين: (النعاس ، المطر ، قتال الملائكة معهم ، وفيه عدة أحاديث صحيحة ، الربط على قلوبهم ، تقليل العدو في أعينهم) وخذلان الكافرين.

٥ــ الحديث عن مصير المستكبرين حيال دعوة الأنبياء ، ويكون صرعى بدر من المشركين نموذجًا على ذلك بذكر مجمل سيرتهم الكفرية وعنادهم ثم ما جرى لهم ، وفيه قصص مبكية من السيرة.

فهذه خمسة مواضيع ، كل واحد منها يصلح أن يكون خطبة مستقلة ، وهذه الموضوعات الخمسة في غزوة واحدة ، ومن تدبر فيها أكثر استخرج موضوعات أخرى.

وهكذا يقال في بقية الموضوعات ، تطرح من جوانب متعددة ، كل جانب فيها يكون خطبة ؛ مما يكون سببًا في إثراء المشروع الخطابي للأمة ، وإفادة السامعين ، والتجديد في الموضوعات التي يلقيها الخطيب.

القسم الثاني: جمعات لا توافق مناسبات معينة:

وهذه هي الأكثر ، ويستطيع الخطيب أن يضع لها مخططًا يسير عليه ، ويشتمل هذا المخطط على موضوعات عدة ، وفي فنون مختلفة ، ومن فوائد ذلك:

١ــ عدم حيرته في اختيار موضوع الخطبة ، ولا سيما إذا ضاق الوقت عليه.

٢ــ نضج الموضوعات التي يطرحها ، إذ قد يمر عليه شهور وهي تدور في مخيلته ، وكلما حصل ما يفيده فيها من مطالعاته وقراءاته قيّده ، أو استذكره.

٣ــ سهولة بحثه عدة موضوعات ، إذا كانت في فن واحد ، وتوفير كثير من الوقت ؛ فمثلًا إذا كان في خطته خمسة موضوعات في العقيدة ، فإن جلسته لبحث واحد منها كجلسته لبحثها كلها ؛ إذ إن مصادرها واحدة ، ومظانها متقاربة.

٤ــ التنويع على المصلين وعدم إملالهم.

ويمكن تقسيم الموضوعات إلى أقسام كثيرة ، يختار في كل جمعة منها قسمًا للحديث عن موضوع من موضوعاته.

ومن مجالات المواضيع:

المجال الأول : القرآن الكريم:

يمكن أن يكون موضوع الخطبة آية قرآنية يجعل الموضوع يدور حولها وحول تفسيرها ، وحول معانيها وما قال العلماء عنها ، ويربطها بواقع الأمة وواقع الناس واحتياجاتهم اليومية ، وكثير ما نجد هذه الموضوعات له أثره الطيب وصداه الكبير ؛ لأن القرآن العظيم ــ كما نعلم ــ هو القرآن المعجِز الذي حوى الهداية كلها والإحكام في الأحكام على أتم وجه ، وهو الذي حوى البلاغة من جميع أطرافها ، فربما كان شطر آية ليس موضوعًا لخطبة واحدة فقط بل لعدة خطب.

وأضرب لذلك مثالًا في الآيات المفردة وأمثلة أخرى يمكن أن تقاس عليها ، فلك أن تتصور موضوعًا لخطبة الجمعة ، يكون مداره في شطر آية وهي قول الله لأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:٢١١).

وانظر إلى مدلول هذه الآية كم فيه من سعة ورحابة ، وكم فيه من تدليل واستشهاد ، وكم فيه من تحليل للواقع وربط بسنن الله لأ في هذا الكون وفي حياة الناس ، إلى غير ذلك من الآفاق الواسعة الكثيرة.

وقس على ذلك آيات كثيرة يمكن أن تكون موضوعًا مثل قول الله سبحانه وتعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمونَ) (البقرة:٢٨١). ومثل قوله سبحانه وتعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(النور:٣١) ، إلى غير ذلك من الآيات.

من أمثلة المواضيع القرآنية:

١ــ الآيات التي تتكلم عن صفات عباد الرحمن ؛ فإنها يمكن أن تكون موضوعًا لسبعة أسابيع أو عشرة أسابيع ولأكثر من ذلك.

٢ــ آيات الوصايا مثل الوصايا العشر في سورة الأنعام ، والوصايا في سورة الإسراء.

٣ــ القصص القرآني ، فيمكن أن تأخذ قصة نوح ؛ وتأتي بأحداثها ودروسها وعبرها في أربعة خطب إلى غير ذلك.

المجال الثاني : الحديث النبوي:

ويكون محور الموضوع فيه حول حديث من أحاديث النبي ص وهي أحاديث جامعة لأنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم.

فهناك أحاديث كثيرة يمكن أن تكون بذاتها موضوعات لخطبة أو خطب عديدة ، فحديث مشهور كحديث ابن عباس : «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ» وحديث وصية النبي ص لمعاذ : «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا ، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » هو أيضًا كذلك.

وكذلك الأحاديث التي فيها تعداد فيمكن أن تكون مجالًا لخطب مسلسلة طويلة ، كحديث النبي ص في السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، يمكن أن يكون كل واحد من هذه الأصناف موضوعًا لخطبة مستقلة ، وهكذا

أحاديث كثيرة للنبي ص كحديث :«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» ، يمكن أن يكون كل واحد منها مضمونًا لـــموضوع معيّن.

أضف إلى ذلك مجال القصص التي قصها النبي ص في أحاديثه كقصة الثلاثة الذين آواهم الغار ، وقصة الأعمى والأبرص إلى غير ذلـــك مـــن القـــصص الكثيرة التي وردت في قصة السنة النبوية الـــمشرفة ، وهذا أيـــضًا مجـــال رحب واسع طويل.

الـــمجال الثالث : العقيدة وما يتعلق بها:

وفيها موضوعات كثيرة ، كأهمية التوحيد وخطورة الـــشرك ، وأنواعـــه ، والسحر ، والاستهزاء بالدين ، والحكم بغير ما أنزل الله لأ.

الـــمجال الرابع :السيرة النبوية ومعارك الإسلام:

يختار حدثًا أو معركة يتحدث عنها أو عن جانب منها ، ويستخرج من ذلـــك الدروس والعبر.

وهو أيضًا مجال مهم ونافع ويحتاج الناس إليه كثيرًا ، إذ فيه ارتباط بسيرة النبي ص وفيه تذكيرٌ بالـــمعاني الإيمانية والدروس الـــمستفادة مـــن هـــذه الأحداث والغزوات وربطها بالواقع إلى غير ذلك أيضًا من أمور كثيرة في هذا الـــمجال ، فهناك الحديث عن غزوة بدر في السابع عشر من رمضان ، وعن الفتح في الثامن منه ، وأحُد في شوال ، وعن تبوك في رجب ، وغيرها من أحداث النبي ص وليس ذلك فحـــسب بـــل أحـــداث الـــــمجال الخـــامس: الشخصيات الإسلامية:

ويبدأ ذلك بصحابة النبي ص والتابعين من بعدهم وسلف الأمة من علـــمائه وقوادِها وأهل الرأي فيها الذين كانت لهم سيَر ناصـــعة ومواقـــف مـــشرِّفة وعلـــم غزير وحِكَم نافعة ؛ فإن هذا مجال كبير جدًا ، فمن حديثك عن صدق أبي بكر ، إلى عدالة عمر ، إلى حياء عثمان إلى شجاعة علي ، إلى علـــــم

ابن عباس ، إلى فقه معاذ ، إلى غير ذلك في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولك بعد ذلك مجال واسع في حِكَم الحسن البصري ، وفي زهد الفضيل بن عياض ، وفي جهاد ابن المبارك وغيرهم من التابعين ، وهكذا تنتقل بعد ذلك إلى الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، إلى غير ذلك من الشخصيات من قواد وعلماء الأمة كابن تيمية وغيرهم من العلماء.

المجال السادس : أحداث العالم الإسلامي:

وهذا يربط المنبر بواقع الناس ، ونعلم جميعًا أن هناك أحداثًا مستجدة ، ليس المنبر مكانًا لنشرة الأخبار أو لاستعراض الأحداث بذاتها ، ولكن كيف يستل منها الدرس والعبرة ، وكيف يبين بعض الحقائق المهمة من ضرورة الولاء لله ولأوليائه والبراءة من أعداء الله ، وبيان تكالب الأعداء على أمَّة الإسلام ، وبيان ما يواجه ذلك من فرقة المسلمين ، وغير ذلك من بعض المواطن التي يمكن الاستفادة منها بشكل جيد.

المجال السابع : مجال الأنظمة الإسلامية:

وهذا مجال مهم جدًا ، فهناك النظام الاجتماعي فيمكن أن يكون مجالًا لعدد من الخطب والموضوعات ، بدءًا من الآداب أو الشروط أو المواصفات التي جاءت في الإسلام في اختيار الزوجة ، ثم بناء الأسرة ثم تربية الأبناء ، هذا كله ثم العلاقة بالجيران ، ثم العلاقة بحقوق المسلم ، هذا كله في نطاق النظام الاجتماعي.

ثم بعد ذلك آفاق أخرى في النظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام القضائي كل هذه الأنظمة التي عندما يستعرضها الخطيب بشكل واضح وبسيط ، ومقرِّب للناس يمكن أن يفيدهم كثيرًا ويفيد نفسه أيضًا بشكل واسع.

الـــمجال الثامن: مجال الأخلاق الإسلامية:وهو مجال واضح سواء من ناحية تأصيلها والكلام عنها وعن ربطها بالإيمان وربطها بالعبادة وأنهـــا جـــزء لا يتجزأ من هذا الدين ، أو بضرب أمثلة منها بأن يكون موضوع عن الـــصبر وموضوع عن الحلـــم وموضوع عن الأخـــلاق الأخـــرى كالوفـــاء بالوعـــد وغيرها من الأخلاق ، فهناك عدد كبير من هذه الـــموضوعات.

الـــمجال التاسع : الـــموضوعات الإيمانية:

التي فيها ترقيق القلوب والتذكير بالآخرة وذكر أوصاف الجنة ، وأهوال النار ، وصف أهلهما ، أعمال أهلهما ، الطريق الـــموصلة إليهما.

والفتن والـــملاحم وأشراط الساعة: وكل فتنة أو ملحمـــة أو علامـــة مـــن علامات الساعة الكبرى صالحة لأن تكون خطبة مستقلة ، بل ربما أكثر من خطبة ، لغزارة ما فيها من نصوص ومعلومات شرعية.

وكذلك القيامة وأحوالها: وفيها من الـــموضوعات شيء كثيـــر: الـــصراط ، الـــميزان ، البعث ، الحساب ، الصراط ، الحشر ، وغير ذلك مما يتعلق بهذه الـــموضوعات ، التي جميع الناس في أمَسّ الحاجة إليها ، والـــموضوعات الـــمتعلقة بتهذيب النفوس وترقيق القلوب وتصفيتها وتهذيبها مـــن الأدواء والأمراض التي تحل بها هو أيضًا مجال واسع في هذا الباب.

الـــمجال العاشر: في الـــموضوعات الفقهية في العبادات والـــمعاملات:

فيمكن أن تكون هناك الـــموضوعات الـــمتعلقة ببعض الأحكام فـــي الـــصلاة وببعض الأحكام في الطهارة والوضوء ، وببعض أحكام الحج عنـــد الحـــج ، وبعض أحكام الصيام في وقت الصيام ، وبعض هذه الـــمـــسائل التـــي يقـــع الناس فيها في بعض القضايا ، من أمور حياتهم العامة كموضوعات الربـــا وموضوعات بعض الـــمعاملات غير الشرعية ، لا بـــد أيـــضًا أن يتناولهـــا الخطيب في خطبه بين فيْنة وأخرى.

الـــمجال الحادي عشر: الـــموضوعات الفكرية الـــمنهجية:

التي يتحدث فيها عن منهج الإسلام وعن رسالة الإسلام وخصائصها ، وعن المزايا والمحاسن الذي جاء بها هذا الدين ، فله أن يتحدث على سبيل المثال عن الوسطية في منهج الإسلام وعن الإنصاف في منهج الإسلام.

ويمكن أن يتحدث عن الغزو الفكري الذي جاء من الأعداء وكيف نواجهه ، وعن الأفكار والمصطلحات والأحداث وموقف الشرع منها : كالديمقراطية ، والعلمانية والحداثة ، والحضارة الغربية وموقف المسلم منها.

المجال الثاني عشر: الموضوعات التربوية والدعوية:

ومعنى ذلك معالجة الأخطاء في السلوكيات على وجه الخصوص ؛ لأن التربية هي التقويم للأخطاء وهذا جزء أساسي منها ، فيمكن باستمرار أن يكون هناك عرض من خلال بعض الموضوعات لبعض الأخطاء التي يقع فيها الناس عادة ، سواء كانت بعض الأخطاء في الحياة الاجتماعية أو في الحياة المتعلقة بالناحية العلمية ، وارتباطها بهذا الدين ، وكذلك بعض الأمور المتعلقة بالدعوة إلى الله لأ.

* هذه بعض الموضوعات الكلية ، ويمكن تقسيم كل موضوع منها إلى موضوعات جزئية في كل موضوع منها خطب كثيرة.

فبإمكان الخطيب أن يضع تحت كل مجال من هذه المجالات عشرة عناوين ، فسيصبح عنده عشرين ومائة من الموضوعات والعناوين ؛ لأن المجالات المذكورة اثنا عشر مجالًا ، وعشرة مواضيع تحت كل مجال يصبح لدينا مائة وعشرين موضوعًا ، تكفيه أكثر من سنتين ، ويحتاج أن ينوع بينها فلذلك ضع عشرة شخصيات وعشرة أحداث ، وعشرة مناسبات وهكذا ستجد عندك قائمة واسعة لن تحتار بإذن الله في اختيار الموضوع بعدها.

فالخطيب إذا عمل هذا التقسيم ، ورتبه في خطة محكمة ؛ بحيث يتعرض في كل جمعة لموضوع من هذه الموضوعات فإنه يُعَلم الناس مجمل الشريعة ، ويُطْلِعْهُم على ما يحتاجون إليه في معادهم ومعاشهم .

وبكل حال فإن حرص الخطيب ، وجدّه في اختيار موضوعات خطبه ، واستفادته من خطبه ، واستفادته من الخطباء الآخرين سيعينه في هذا المجال كثيرًا ، كما أن اطلاع الخطيب ، وغزارة علمه ، واجتهاده في تحصيل العلم وطلبه ، ومعرفته بأحوال الناس ، وتلمس حاجاتهم ، وقربه منهم ، يجعله قريبًا من قلوبهم ، عارفًا بهمومهم ، قادرًا على معالجة مشاكلهم ، في كل أسبوع يصعد درجات المنبر ، ويخطب فيهم وهم له منصتون.

وإذا كان الخطيب كذلك فإن المصلين سيشتاقون إلى الجمعة ، وينتظرون خطيبهم برغبة كبيرة ، ويفرحون بإطلالته عليهم ، مما يجعل الخطيب قريبًا من مستمعيه ، وهذا حقيق بأن يجعل الخطبة تؤتي ثمارها ، وتظهر فائدتها التي شرعت من أجلها.

إذا تم اختيار موضوع معين للخطبة فيحسن ما يلي لإنجاحه وإتمامه :

أ – جمع النصوص الشرعية حوله ، قرآناً وسنة ومحاولة توزيعها توزيعاً حسناً ، لتقع موقعها من النفوس .

ب– القراءة المتعمقة في الموضوع ، وجمع الكتب والدراسات فيه .

ج – فهم النصوص ، وحسن الاستشهاد بها .

د– اختيار الأساليب والجمل العذبة ، الرانّة في الأذهان ، والجاذبة للأبصار .

هـ– جمع ما يُستملح ويُستأنس به ، من القصص والآثار والأشعار المستطابة ،ذكر عن أبي دحية القاص أنه كان يقص على الناس قصة يوسف ، فقال: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف هملاج .. فقال الناس: إن يوسف لم يأكله الذئب فقال أبو دحية: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

صعد أعرابيٌّ المنبر فقال :أقول لكم ما قال العبد الصّالح: "ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرّشاد"، فقالوا له: هذا فرعون. فقال: قد والله أحسن القول إذن .

ثالثا : الأساليب النبوية في الخطبة

كان للنبي صلى الله عليه وسلم هدي خاص في الخطبة ، ويتمثل هذا الهدي النبوي الكريم في :

١- أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما. وقد استدل كعب بن سمرة رضي الله عنه على ذلك بقوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) . سورة الجمعة آية: ١١.

٢- أنه كان يخطب على المنبر. لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان له منبر يخطب عليه.

٣- أنه كان يخطب خطبتين يفصل بينهما بجلوس. كما في حديث ابن عمر - رضي اللّه عنهما - عند البخاري ومسلم وغيرهما.

٤- أنه كان يقرأ القرآن في الخطبة ويُذكّر الناس. كما في حديث جابر بن سمرة السابق، وفي حديث جابر بن عبد اللّه عند مسلم وغيره: " يقرأ بآيات من القرآن ويذكّر الناس " . مسلم الجمعة (٨٦٢) ، أبو داود الصلاة (١١٠١) ، ابن ماجه (١١٠٦) ، أحمد (٨٨/٥) .

٥- أنه كان يشير إشارة خفيفة بيده بإصبعه المسبّحة. كما يدل عليه حديث عمارة بن رويب رضي الله عنه عند مسلم والترمذي وأبي داود والنسائي.

٦- أنه صلى الله عليه وسلم " كان إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومسّاكم ". مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣٣٨/٣).

٧- أنه صلى الله عليه وسلم كانت صلاته قَصْداً؛ وخطبته قَصداً. ، فعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، قَالَ : خَطَبَنَا عَمَّارٌ ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا : يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ،

لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ ، فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا. **أخرجه أحمد ٤/٢٦٣(١٨٥٠٧) و"الدارمي"١٥٥٦ و"مسلم"٣/١٢(١٩٦٤).**

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرِ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ:كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ قَائِمًا ، ثُمَّ يَجْلِسُ ، ثُمَّ يَقُومُ ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ ، وَيَذْكُرُ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ قَصْدًا ، وَصَلاَتُهُ قَصْدًا.

وفي رواية شيبان أبي معاوية :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لاَ يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ. **أخرجه أحمد ٥/٨٧(٢١٠٩٨).**

و"مسلم" ٣/٩(١٩٥٠).

وعَنْ أَبِي رَاشِدٍ ، قَالَ : خَطَبَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فَتَجَوَّزَ فِي خُطْبَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ : لَقَدْ قُلْتَ قَوْلاً شِفَاءً ، فَلَوْ أَنَّكَ أَطَلْتَ ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى أَنْ نُطِيلَ الْخُطْبَةَ.

- وفي رواية : عَنْ أَبِي رَاشِدٍ ، قَالَ : تَكَلَّمَ عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ قُلْتَ قَوْلاً ، لَوْ زِدْتَنَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَنَا بِإِقْصَارِ الْخُطَبِ. **أخرجه أحمد٤/٣٢٠(١٩٠٩٥) و"أبو داود"١١٠٦.**

٨- قد كان كلامه صلى الله عليه وسلم بصفة عامة قليلا لو عده العادّ لأحصاه، وقد كان في بعض كلامه صلى الله عليه وسلم تكرار للكلام حتى يفهم عنه ،وصحّ من فعله صلى الله عليه وسلم أنه إذا خطب حمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله، كما كان في الخطبة يقرأ القرآن ويذكّر الناس .

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وقدوة طيبة لجميع الخطباء والبلغاء .

رابعاً :صفات الخطيب وعناصر نجاح الخطبة

هناك صفات للخطيب المؤثر، وعوامل تجعل الخطيب نافعا لامته ولمجتمعه ولنفسه منها :

أ – صفات الخطيب :

أولاً :الإخلاص والشعور بالمسؤولية :

يجب أن يشعر الخطيب بأنه صاحب رسالة يؤديها، ويقصد من خلالها وجه الله، حتى ولو كانت تلك وظيفته التي يقتات منها، وذلك لأن صاحب الرسالة يستفرغ كل طاقته في محاولة إيصالها إلى الناس، لا يكل ولا يمل. . والحقيقة إذا ما توفر هذا الشعور في نفس الخطيب فإن النجاح سيكون حليفه، وسيكون من أحسن الناس قولاً.

قال الله تعالى: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " . سورة فصلت ٣٣.

فالخطيب الناجح والمؤثر هو خطيب يتخذ الإخلاص مطية، تصل به إلى دربه ومبتغاه، ويحزم متاعه برباط الخوف من قيوم السماوات والأرض. قال تعالى : " وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ". سورة آل عمران٧٩ .

فالعمل لا يتم قبوله بعد الإخلاص لله عز وجل إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فهذان هما شرطا قبول العبادة لقوله تعالى : " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً " سورة هود: آية٧. قال الفضيل بن عياض : أي أخلصه وأصوبه ، وقال : " إن العمل إذا خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً . قال : والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة. اهـ . انظر : جامع العلوم والحكم (١ / ٣٦) .

روى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن بشير بن عقربة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من قام بخطبته لا يلتمس بها إلا رياءً وسمعةً وقفه – عز وجل – يوم القيامة موقف رياءٍ وسمعةٍ ". انظر : مسند أحمد (٣ / ٥٠٠) ، المعجم الكبير (٢ / ٢٩) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وأحمد ، ورجاله موثقون .

فينبغي للخطيب أن يجعل قصده وغايته في خطبه النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ؛ وذلك عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي رقية تميم بن أوس الدَّاريِّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدِّينُ النَّصيحةُ)) قلنا : لمن ؟ قال : ((للهِ ولِكتابهِ ولرسُولهِ ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهم)). صحيح مسلم كتاب الإيمان (٧٤/١ رقم ٥٥) .

قال الحافظ أبو نعيم : " هذا الحديث له شأن عظيم " ، وقد نقل ابن رجب عن محمد بن أسلم الطوسي ، أنه قال عن حديث تميم : إنه أحد أرباع الدين انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٨٥/١).

بل قال النووي رحمه الله : " هذا حديث عظيم لشأن ، وعليه مدار الإسلام ، وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه ، بل المدار على هذا وحده. شرح النووي على صحيح مسلم (٣٧/٢) .

قال الشاعر :

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل * * * إلا إذا كانت له صفتانِ

لابد من إخلاصه ونقائه * * * وخلوه من سائر الأدران

وكذا متابعة الرسول فإنها * * * شرط بحكم نبينا العدنان

ثانياً : الاستعانة بالله تعالى :

تذكر أنك إنما تخطب وتتكلم بحول الله تعالى وقوته، فإن شاء الله تعالى أطلق لسانك، وإن شاء عقده، ولو وكلك الله إلى نفسك لعييت وعجزت.

إن حنجرتك التي هي وعاء خروج الأصوات، ولسانك وشفتيك وأسنانك التي تصيغ الحروف والنغمات، إنما هي خلق من خلق الله تعالى {الذي أنطق كل شيء}.

واعلم أن الله معك.. شاهد ومطلع عليك.. نظره أسبق من نظر المخاطبين إليك.فاعتصم بالله، وليكن لك في نبي الله موسى عليه السلام أسوة حسنة حيث : " قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي " . سورة طه ٢٥-٢٨.

قال الشاعر:

يا أيها الإمام القائم الخطيب * * * إن يوم الحساب منك قريب
قد صبرت للذل أعواد منبر * * * تقوم عليها في يدك قضيب
بكى منبر الإسلام إذا قمت فوقه * * * وكادت مسامير الحديد تذوب
فالعين عميا و القلب كذوب * * * فطبق على نفسك الحمقى تصيب
يا أيها المرائ المغرور تب و انزجر * * * فخير الناس المخلص المنيب
فخالف النفس و الشيطان و الهوى * * * فالله على ضميرك رقيب

ثالثاً: الموهبة :

الخطابة فن، ولذا ينبغي لمن يتصدى لها أن يكون ذا موهبة، يثقلها بالعلوم والمعارف المختلفة، ذات الصلة الوثيقة بعلم الخطابة، فسعة الإطلاع خير معين للخطيب في أداء خطبته بقوة وتأثير.

في قصة سقيفة بني ساعدة قول عمر رضي الله عنه : " أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر الصديق ... " . صحيح البخاري حديث رقم (٦٨٣٠) وانظر فتح الباري (١٤ / ١١١) . هذه رواية ابن عباس .

وفي رواية عائشة : قال عمر رضي الله عنه : " والله ما أردت لذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر " . صحيح البخاري حديث رقم (٣٦٦٨) وانظر فتح الباري (٧ / ٣٦٨) .

وقد كان هشام بن عمار خطيب دمشق ، وكان بليغا صاحب بديهة ، وقد قال عن نفسه : ((ما أعدت خطبة ــ أي كررت ــ منذ عشرين سنة)). وقد قال عبدان : ما كان في الدنيا مثله ــ يعني في الخطبة ــ وكان من أبلغ ما يقول في خطبته : قولوا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى ألا بالحق . انظر : سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٢٩ – ٤٣٠) .

والموهبة لا تكفي وحدها بل لا بد من التدريب الجيد والمتواصل على الخطابة.

من طريف ما ورد عن الإمام ابن الجوزي ، أنه كان في بداية حياته يعاني من الكلام أمام الناس ، فكان يخرج عن البلد وينصب أحجاراً ، ثم يرفع صوته بالخطبة أمام هذه الأحجار ، وشيئاً فشيئاً حتى برع في الوعظ والخطابة ، وسمي واعظ الدنيا.

رابعاً : الرصيد العلمي والزاد الثقافي :

وهذا أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الخطيب إجابة التساؤلات ، وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدَّة التي بها يعلِّم الخطيب الداعية الناس أحكام الشرع ، ويبصرهم بحقائق الواقع ، وبه أيضاً يكون الخطيب قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات ، ومتقناً في العرض ، ومبدعاً في التوعية والتوجيه .

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه ،ولا قال ابن القيم عن الفقهاء ((إنهم يكون الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، بهم يُهتدى في الظلماء ، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء)).

أما عن ثقافة الخطيب فالمقصود بها :

أولاً: حفظ كتاب الله حفظًا مكينًا بحيث تصير الآيات له كما لو كان يقرؤها وينظر فيها.

ثالثًا: النظر في القصص القرآني الكريم؛ إذ فيه مادة لطيفة لاستخلاص العبرة وربط الفكرة، خاصة أن الناس يحبون هذا اللون من الأداء.

رابعًا: شحن الذهن بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وربطها بالواقع المعيش.

خامسًا: النظر في حياة الصحابة أولئك الصفوة والفئة المنتقاة، وأخذ الأسوة عنهم وربطها بحياة الناس.

سادسًا: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالإمامة والصلاة:

وهذه الصفة فرع عن الصفة الأولى ولكن أفردناها لأهميتها والتنبيه عليها، فينبغي أن يكون عالماً بأحكام الخطبة والصلاة وشرائطهما ومصححاتهما ومبطلاتهما وجوابرهما وكيفياتهما وتكميلاتهما.

ولا يشترط أن يكون عالماً مجتهداً مطلقاً ولا مقيداً، ولا أن يكون مفتياً في جميع الأحكام ولا حبراً لجميع الأنام، فإن ذلك من صفات الكمال، لا من صفات الصحة والإبطال.

سابعا:. علم التاريخ: فالتاريخ ودراسته يوسع آفاق الخطيب ويطلعه على أحوال الأمم وسير الرجال وتقلب الأيام بها وبهم، وفيه يرى سنن الله الكونية وعاقبة الأمم والمجتمعات والحضارات، وانتصار أو انهزام الدعوات.

ثامنا : الرغبة في معايشة بعض الكتب الأدبية والفكرية لطلاقة اللسان، وسلاسة وسلامة العبارة وجزالة اللفظ، وأخص بالذكر هنا كتب الرافعي، وبخاصة كتاب "من وحي القلم"، وهو كتاب قوي في مادته، عذب جزل في عبارته رصين في ألفاظه، قوي في بنائه، مشوق في عرضه، شهي في فكرته مع متابعة ما كتبه شعراء الإسلام قديمًا وحديثًا وبخاصة شعراء "الدعوة الإسلامية".. وبذلك يتمكن الخطيب من حضور الشاهد في زمانه

وإيقاعه في مكانه ذلك هو جزء من مكونات الخطيب، مع ملاحظة أن الشرطين الأولين لا غنى عنهما البتة لأي خطيب كائنًا من كان.

تاسعا: واقع العالم الإسلامي: فما أقبح بالخطيب أن يجهل أحوال أمته وواقع عالمه، وإلا فأين الجسد الواحد، ومن أين تستقي الجماهير أخبار إخوانهم وكيف يمكنهم مد العون لهم أو على الأقل المشاركة بالدعاء والدعم المعنوي لقضاياهم وأزماتهم؟!.

خامسا :القدوة الحسنة :

ينبغي على الخطيب أن يكون قدوة في مظهره ومخبره فعليه أن تكون ملابسه وهيئته حسنة. لأن ذلك أدعى إلى الالتفات إليه والانجذاب نحوه والإنصات له. مع مراعاة عدم المبالغة في اللباس إلى حد التكلف والتعقيد.

فالناس ينظرون إلى سلوك الخطيب، ويدققون النظر فيه، ولذا ينبغي أن تتطابق أفعاله مع أقواله، فالتزام الخطيب بأحكام الإسلام بوجه عام، وتطبيق ما يدعو إليه في خطبته، يجعل كلامه مقبولاً عند المستمعين، أما مخالفة العمل للقول، فإنه يجعل المستمعين لا يثقون به ولا بكلامه.

قال الله تعالى: (تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) سورة البقرة٤٤،ويقول أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)الصف٢،٣.

روى الإمام أحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية وأبو يعلى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قال : قلت : منْ هؤلاء ؟ قال : خطباء من أهل الدنيا ، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ؟)) قال الهيثمي : " وأحد أسانيد أبي رجاله رجال الصحيح) . اهـ . انظر : مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) .

وفي الصحيحين من حديث أسامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : (يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : أي فلان ، ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وأفعله). صحيح البخاري : كتاب الفتن ، باب (١٧رقم ٧٠٩٨) وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٠ رقم ٢٩٨٩) .

قال النخعي رحمه الله : " ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } ، { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ }، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} .". انظر : تفسير القرطبي (١٨ / ٧٣) .

عن الحسن البصري قال : " اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا أقوالهم ؛ فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإن وافق قولُه فعله فنعم ونعمة عين " .

ذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد قال : " أدركت الناس وما يعجبهم القول ، إنما يعجبهم العمل ". انظر : صحيح جامع بيان العلم وفضله . اختصار الزهيري (٢٦٠) .

وقال أبو الدرداء: ويل لمن يعلم ولم يعمل مرة، وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة. انظر : صيد الخاطر ص (٥٠) إحياء علوم الدين (١ / ٦٣) .

قال أبو العتاهية :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً * * * إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
كملبس الثوب من عريٍّ وعورتُه * * * للناس بادية ما أن يواريها

وقال الدؤلي :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ * * هَلاَ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى * * كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا * * فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ تُعْذَرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ * * عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وقال أبو العتاهية :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً * * * إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

كملبس الثوب من عريٍّ وعورتُه * * * للناس بادية ما أن يواريها

سادسا : الشجاعة :

أن يكون الخطيب شجاعًا في قول الحق، مع التحلي بالحكمة وحسن التقدير للموقف، بعيدًا عن التهور والاندفاع غير المحسوب، فالشجاعة في قول الحق صفة أساسية لابد وأن يتحلَّى بها الخطيب؛ لأنه سيتعرض لأمور كثيرة فإن لم تكن عنده الشجاعة الكافية فلن يستطيع الوصول إلى الهدف والغاية المرجوة، وكما نطالب الخطباء بالشجاعة، فعلى الحكومات والوزارات المعنية أن توفر جانبًا من الحرية للخطباء، كما توفر هامشًا – قل أو كثر – للصحافة وأجهزة الإعلام.

إذ على الخطيب أن يقول الحق لوجه الله لا ينظر فيه إلى رغبة جمهور ، ولا إلى رغبة سلطان ، ولا غيره ، كما قال تعالى : {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّـهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} . سورة الأحزاب:آية ٣٩.

أورد الزبيدي شارح الإحياء كلاماً مفيداً حول التماس سخط الله برضا الناس ، فذكر قصتين واقعتين قائلاً : وقد اتفق أن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة ، أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان ، وأطنب فيها ، فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال مع كونه تركياً : ما لهذا الخطيب يقول في خطبته السلطان السلطان ، ليس شرط الخطبة هكذا ، وأمر به أن يضرب بالمقارع ، فتشفع له الحاضرون . هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه ، فما خلص إلا بعد الجهد الشديد .

واتفق مثل هذا لبعض أمراء مصر في زماننا ، لما صلى الجمعة في أحد

جوامع مصر ، وكان مغروراً بدولته مستبداً برأيه ، وربما نازعته نفسه في خلافة على مولانا السلطان نصره الله تعالى ، فأطنب الخطيب في مدحه بعد أن ذكر اسمه بعد اسم السلطان ، فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته ونفيه عن مصر إلى بعض القرى . فهذا وأمثال ذلك ينفي للخطباء أن يلتمسوا سخط الله تعالى برضا الناس ؛ فإن ذلك موجب لسخط الله تعالى والمقت الأبدي ، نسأل الله العفو منه آمين . **انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٣ / ٢٣١) .**

سابعاً : مجانبة مداخل الشيطان :

ينبغي للخطيب أن ينتبه لناحية مهمة تعد مدخلاً واسعاً من مداخل الشيطان لا سيما إذا كان الخطيب ممن يتجمهر حوله الناس ويكثر محبوه وهذا الأمر المهم هو إرضاء الناس فالخطيب المشهور تعتريه غالبا حالتان إما أن يرضي جمهوره بخطبة فيها تشنج وقوة نقد دون روية أو تسييس أو يرضي طرفاً آخر غير الجمهور وكلا الأمرين خطأ فادح ولا أدل على خطأ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَافَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ.**أخرجه الترمذي (٢٤١٤).**

هذا إن أرضاهم بأمر خاطيء ، أما إذا أرضى أحد الطرفين بأمر صواب وهو يقصد إرضاءهم بذلك فهو من باب الرياء وهو الشرك الخفي.

ومجانبة الصواب، لاسيما في الأمور المعضلة التي تنزل بالمجتمع حيناً بعد آخر ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد ذمَّ هذه الصفة بقوله : ((إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ، ودعْ عنك العوامَّ)). **سنن أبي داود (٤ / ٥١٣) ، جامع الترمذي (٥ / ٣٥٧ رقم (٣٠٥٨) .**

ونقل ابن عبدالبر عن أحد السلف قوله : الإعجاب آفة الأحباب . ونقل عن آخر قوله : من أعجب برأيه ضلَّ ، ومن استغنى بعقله زلَّ. انظر : جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٤٣) .

وحُكي عن وكيع؛ قال:قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت:أخطأتُ في خمسة أبواب من المناسك بمكة،فعلَّمنيها حجام،وذلك أني أردت أن أحلق رأسي،فقال لي:أعربيٌّ أنت؟قلت:نعم،وكنت قد قلت له:بكم تحلق رأسي؟فقال: النسك لا يُشارَطُ فيه،اجلس،فجلست منحرفاً عن القبلة،فأومأ لي باستقبال القبلة،وأردتُ أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر،فقال:أدر شِقَّك الأيمن من رأسك؛فأدرته،وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت،فقال لي:كَبِّر،فجعلت أكبر حتى قمتُ لأذهب،فقال:أين تريد؟فقلت:رحلي،فقال:صلِّ ركعتين ثم امض.فقلت ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلاَّ ومعه علم.فقلت:من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟فقال:رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.ابن خلكان : وفيات الأعيان(٣/٢٦١).

فمداخل الشيطان من كبر وعجب وغرور تؤدي إلى التعالى والجفاء وترك الرفق والحكمة ، وإن على الخطيب الناجح الاتصاف باللين والرفق والتلطف مع الناس لأن ذلك أدعى إلى استمالتهم وإقناعهم، أما أسلوب العنف والغلظة والشدة فقد أثبت الواقع فشله وعدم جدواه، لقد خاطب الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " . سورة آل عمران١٥٩.

وقال صلى الله عليه وسلم يقول:(إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا ينزع من شيء إلاّ شانه). أخرجه أحمد ٣/٣٤١(١٣٥٦٥).

ثامناً : فصاحة اللسان وجودة النطق :

إن فصاحة اللسان وسلامة مخارج الحروف أمر مهم للخطيب وكذلك مراعاة

حسن الإلقاء، قوةً ولينًا، فلا يكون الإلقاء على وتيرة واحدة، حتى لا يمل السامع، أو يعتمد أسلوب السجع الممقوت، فإن من شأن ذلك إضاعة المعنى، والتركيز على اللفظ. مع ضرورة مراعاة قواعد اللغة العربية، لأن عدم مراعاتها يحدث خللاً في المعنى.

فمع الأسف كثيراً ما نشاهد بعض الخطباء أو المتحدثين لا يراعون في خطبهم أو كلماتهم قواعد اللغة العربية، ولا يقيمون لها وزناً، ويظنون أن ذلك ليس من الضرورة بمكان، وهذا خطأ كبير وجهل فاضح، فتغيير حركة واحدة في الكلمة من شأنه أن يقلب المعنى رأساً على عقب، والأمثلة على ذلك كثيرة.

والخطيب الناجح والمؤثر يمتلك من الألفاظ أعذبها وأشوقها وأقربها إلى القلوب والشعور، يأسرك بكلماته التي هي واحة المتعبين وأنس السامرين، ودليل الحائرين، يربطهم بالمسجد ربط الطائر بعشه وأفراخه(وقد نرى بعض الخطباء إذا تكلم لا يكاد يبين، كأنه من الأعجمين، ينطق بالحرف مقلوباً، ويجعل المرفوع منصوباً، ملأ خطبته عيوباً، وندوباً، وثقوباً. غضب منه في النحو سيبويه، وفي اللغة نفطويه، وفي الحديث راهويه، وفي الشعر متنبيويه.

الخطيب البارع يأسر القلوب أسراً، ويسري بالأرواح، فسبحان من أسرى، ويسترق الضمائر فإما منّاً بعد وإما فداء، وله على مستعمرات النفوس احتلال واستيلاء.

فعن ابن عباس قال : " اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، ففخر الزبرقان فقال : يا رسول الله ، أنا سيد تميم ، المطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك – يعني عمرو بن الأهتم – فقال عمرو : وإنه لشديد العارضة ، مانع لجانبه ، مطاع في أدانيه . فقال الزبرقان : والله

لقد كذب يا رسول الله ، وما يمنعه أن يتكلم إلا الحسد . فقال عمرو : أنا أحسدك ! فوالله لبئيس الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد ، مبغض في العشيرة ، والله يا رسول الله ، ما كذبت فيما قلت أولاً ، ولقد صدقت فيما قلت آخراً ؛ رضيت فقلت أحسن ما عملت ، وغضبت فقلت أقبح ما وجدت ؛ ولقد صدقت في الأمرين جميعاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن من البيان لسحراً)). انظر : التمهيد (٥/ ١٧١ – ١٧٣) .

قال أبو حاتم البستي : ((الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل ، وأحسن إزار يتزر به العاقل ، والأدب صاحب في الغربة ، ومؤنس في القلة ، وزين في المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حداثته انتفع به في كبره ، لأن من غرس فسيلاً يوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوي عند أولي النهى ، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى : رجلان أحدهما يلحن والآخر لا يلحن . انظر : روضة العقلاء ص (٣٣٠) .

يروى للحطيئة :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل * * * بمنتظمات لا ترى بينها فصلاً

يقول مقالاً لا يقولون مثله * * * كنحت الصفا لم يبق في غاية فضلاً

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع * * * لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً

وقال آخر :

النحو يبسُط من لسان الألكنِ * * * والمرء تكرمه إذا لم يلْحنِ

وإذا طلبت من العلوم أجلها فـ * * * أجلها منها مقيم الألسنِ

قال محمد بن المثنى السمسار ، قال : « كنا عند بشر بن الحارث ، وعنده العباس بن عبد العظيم العنبري ، وكان من سادات المسلمين ، فقال له : يا أبا نصر أنت رجل قد قرأت القرآن وكتبت الحديث ، فلم لا تتعلم من العربية ما تعرف به اللحن حتى لا تلحن ، قال : ومن يعلمني يا أبا الفضل ؟ قال : أنا يا أبا نصر قال : فافعل قال : قل : (ضرب زيد عمرا) ، قال : فقال له بشر : يا أخي ولم ضربه ؟ قال : يا أبا نصر ما ضربه ، وإنما هذا أصل وضع ،

فقال بشر : هذا أوله كذب لا حاجة لي فيه .الخطيب البغدادي : اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ ٩٤.

من الطرائف : أن أحدهم كان له ابن نحوي يتقعر في الكلام ، فمرض الوالد مرضاً شديداً وشارف على الموت .. فاجتمع أولاده وقالوا : ندعو أخانا فلاناً .. فقال: لا ، إن جاء قتلني .. قالوا : نحن نوصيه أن لا يتكلم .. فجاء الولد ، فلما دخل على أبيه ورآه مشرفاً على الموت ، قال: يا أبت قل لا إله إلا الله ، تدخل الجنة وتنج من النار .. ثم قال: يا أبت والله ما شغلني عنك إلا فلان ، فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج ، وسكبج وطهبج وأفرج ودحج ، وأبصل ومضر ولوزج وافلوذج .. فصاح أبوه: غمضوني فقد سبق أخوكم ملكَ الموت إلى قبض روحي.

تاسعاً: القناعة بما يدعو إليه :

أن يكون على قناعة تامة بما يدعو إليه، حتى يكون قادرًا على الإقناع والتأثير، فالإيمان بقضية ما يجعل صاحبها يدافع عنها بكل ما يملك. فإذا لم يكن الخطيب على قناعة بما يدعو إليه، فلا يستطيع إقناع الآخرين بذلك، فإذا دعا الخطيب في خطبته الناس إلى دفع زكاة أموالهم أو الصدقة وهو في نفس الوقت لا يدفع زكاة أمواله ولا يتصدق ، أو دعاهم إلى ترك الغيبة وهو يفعل ذلك، أو دعاهم إلى إلزام بناتهم وزوجاتهم باللباس الشرعي، وبناته وزوجته لا يلتزمن بذلك، إلى غير ذلك، فإن الكثير من الناس سوف لا يلتفتون إلى أقواله ولا إلى خطبه.

عاشراً: اختيار مواضيع من واقع الحياة :

فغلى الخطيب اختيار موضوع الخطبة من واقع الحياة التي يحياها الناس، ومناقشة المشكلات الاجتماعية المتعددة، ومحاولة طرح الحلول لها، أما الموضوعات السلبية التي لا تعالج أمراض المجتمع وعلله المختلفة، فإن

الاستفادة منها تكون قليلة.

فالخطيب الناجح هو الذي ينظر إلى واقع الناس ليتحدث عنه، فليس من الحكمة عدم مراعاة واقع الناس، فمثلا إذا ما حصلت حادثة وفاة فليس من المناسب أن يذهب الخطيب فيتحدث عن الزواج، إذ المناسب التحدث عن الموت من حيث كونه حقاً لا مفر منه ومن حيث أخذ العبرة منه، ودعوة الناس إلى الاستعداد له، وبيان أن الإنسان لا يدري متى يأتيه الأجل وهكذا. كما يتوجب عليه أن يكون مطلعاً على ما يجري في العالم من أحداث ومتغيرات ومستجدات، ليطلع جمهوره على ذلك مع بيان حكم الإسلام في ذلك.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .مقدمة صحيح مسلم ١١/١.

وعنى قال : حدثوا الناس بما تعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .خرجه البخارى (٥٩/١ ، رقم ١٢٧) .

حصل أن في بعض القرى أخذ خطيبهم كتابًا فيه أن مؤلف تلك الخُطب يُحذر أهل بلده من استقدام الخدامات الأجنبيات في البيوت، فجعل ذلك الفقيه يقرؤها ويُحذر أهل القرية من اتخاذ الخدامات ومن الخدامين السائقين بالنساء بغير محارم، ومن الرحلة إلى دول الغرب في العطلة الصيفية وتضييع آلاف الدولارات في ذلك!! وهم أناس حالاتهم متواضعة، أحدهم ربما يذهب عمره ولا يستطيع أن يحج الفريضة، وبعضهم لا يقدر أن يتزوج إلا بشق الأنفس من ضيق الحال عليه، فضلا من أن يستورد خدامات من الخارج، وأكثرهم لا يجد سيارة يسوقها بنفسه لاحتياجاته الضرورية فضلا من أن يأخذ سيارة ويستقدم سائقًا يسوق بنسائه!! فيكون الخطيب كأنه يخاطب غير السامعين!!.

ب- عناصر نجاح الخطبة :

١- عدم الإطالة في الخطبة:

فالخطيب الناجح لا يطيل في خطبته مراعاة لأحوال وظروف المستمعين، فيكون من بينهم المرضى وأصحاب الحاجات والمهمات، وأحياناً طبيعة الجو تلعب دوراً أساسياً في تحديد وقت الخطبة، فيجب على الخطيب مراعاة ذلك بصورة معتدلة.وقد اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من مئنة فقه الرجل إطالة الصلاة وقصر الخطبة ولا بد أن يعلم الخطيب أن فن الإيجاز والإطناب يختلف من حال إلى حال، بحسب حال السامعين في إقبالهم ومللهم، ونوع الموضوع، وظروف الإلقاء.

ويحسن من الخطيب أن يعوّد سامعيه على زمن معتدل ثابت يلتزمه، فإنهم إذا عرفوه بانضباطه ودقة التزامه أحبوه ولازموا حضوره.

٢- اغتنام الفرص:

الخطيب الناجح هو الذي يتصيد الفرص والأحداث ويقيسها بمقياس الشرع والفرصة لا بد أن تكون :

١- مناسبة للمضمون المراد طرحه والواقع .

٢- أن تكون على مستوى المصلين لا أعلى ولا أدنى .

٣- التكرار وحسن البيان :

وهو أحد الأسس التي يقّدم الخطيب من خلالها المضمون، ووظيفة هذا الأسلوب التوضيح وزيادة التأكيد فإن أدّاها فنعما هو.

وتنبع قيمة التكرار من اختلاف أشكاله وتنوعه فليس التكرار ترددا لجمل معينة حرفا بحرف وكلمة بكلمة فالنبي صلى الله عليه وسلم ظلّ يكرر مضمونا واحدا ثلاث عشرة سنة في مكة: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) فهل كان طوال هذه السنوات يردد هذه الجملة فحسب؟الجواب لابقي أن نقول إن للتكرار آفة واحدة فقط وهي الملل، وينتفي الملل بالتنوع والغنى، كما قلنا.

وهذا النوع لا يحسن أن يكون بالألفاظ ذاتها، إذ النفوس تنفر من ذلك، بل يكون بعبارات جديدة، بل وبأساليب مختلفة تارة بالتقرير، وتارة بالاستفهام، وتارة بالترغيب أو الترهيب، وتارة بالاستنكار، وغيرها من الأساليب البلاغية.

عن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثَلاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ)). قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ.)) **رواه البخاري.**

٤- إثارة العواطف:

ينبغي للخطيب أن ينظر إلى مضمون الخطبة فإن كان يحتمل هذه الإثارة فعل وإلا لم يفعل حتى لا يعود على نفسه بالنقض.

الخطيب الناجح يمتاز بالقدرة على تحليل المواقف، وتركيب الفكرة وتنسيقها، والإيقاع بها في رشد زمانها وطيب مكانها.

الخطيب المؤثر إذا حدَّث الناس عن الجنة كأنما بجناحيه فيها يطير، وحول أنهارها يسير، وبين يدي حُورها يميل، وإذا حدَّثهم عن النار كأنه في بركانها يصطلي، كلامه عنها يفتت الأكباد، ويذهل الألباب، ويقطع الآمال.

كان الشاعر شرف الدين الأصفوني المعروف بقطنبة كثير الهجاء ظريف الحكايات . ومن نوادره أنه صلى العيد الأكبر ، فذكر الخطيب قصة الذبيح ، فاشتد بكاء شخص بجانب قطنبة وعلا نحيبه ، فقال له : إلى متى تبكي ؟ أما سمعته في العام الماضي يقول إنه سلِم . **المختار المصون من أعلام القرون ١٠١/١**

٥- الإلمام بالموضوع:

لا يستطيع الإنسان أن يشعر بالارتياح حين يواجه مستمعيه إلا بعد أن يفكر ملياً ويخطط حديثه ويعرف ما الذي سيقوله.

قام بعض المبتدئين متحدثاً عن موضوع ليس لديه الإلمام الكافي نحوه،

فاضطربت عباراته، واهتزت ثقته بقدراته، فاتهم نفسه بالفشل وعدم القدرة على الخطابة. والسبب في الحقيقة إنما يعود لسوء التحضير والتخطيط.

٦- المران والتدريب:

إن أول وآخر طريقة فعالة لتوليد الثقة بالنفس في فن الخطابة، هي أن تقف وتخطب.

فالأعصاب تهدأ تماماً من خلال العادة والتمرين الدائم لقوة الإرادة. فإن كان لدى الإنسان خطاب فإنه سيجيد الكلام أكثر حين يردده ويتدرب عليه باستمرار.

٧- البعد عن التقليد والتقمص:

نشاهد بعض الخطباء يقومون بتقليد خطباء مشهورين بصورة متكلفة تثير في النفوس عدم الارتياح والرضى، مع التنبيه بأنه لامانع من الاستفادة من أسلوب الآخرين بصورة مقبولة وغير متكلفة، لأن المستوى الثقافي والقدرة العلمية لكل من المقلد والمقلد غالباً ما تكون متفاوتة وغير متقاربة، ومن هنا يأتي الخلل وعدم التوفيق والنجاح في أداء الخطبة.

٨- حضر موضوعك جيدا:

إذا كتب الخطيب الناجح الموضوع فهو مخير بين أمرين:

١. إن شاء حفظه وألقاه .

٢. وإن شاء ذكر مضمونه .

وليحذر جهده من قراءته على الناس من ورقة، فإن ذلك يضعف قوته ويذهب بتأثيره في النفوس كما هو مشاهد.

والأمر الثاني أحسن الأمرين، حتى لا يكون مقيداً بعبارة خاصة، فإذا عرض له أمر جديد أثناء الخطابة أمكنه القول فيه، وكثير من الحفاظ إذا نسوا جملة تلعثموا أو ارتج عليهم فيفقدون هيبتهم في نفوس السامعين.

وما أحوج الخطيب إلى الهيبة والجلال ! فكان من الأحسن والمصلحة ألا

يتقيد بعبارة يحفظها بل يتخير من العبارات ما يؤدي المعاني التي حصل عليها ببحثه وتفكيره.

هذا إذا كتب الموضوع. وإن شاء عدم الكتابة واكتفى برسم الموضوع في مخيلته وتسطيره في ذاكرته التي قواها بالمران والممارسة، كان ذلك أحسن وأكمل.

روي أن خطيباً خطب من كتاب وهو لا يعرف أن يقرأ قراءة صحيحة، ومؤلف الخطبة كتب فيها: (الزِّنا عمّ، والبلا عمّ، والرِّبا طمّ، آهٍ آه!!)، فقرأها الخطيب هكذا: (الزنا عمّ، والبلا عمّ، والرِّبا طمّ، ٥١ ٥١ -واحد وخمسون واحد وخمسون-)!! ومقصود المؤلف في الخطبة التوجع من انتشار الزنا والربا وكثرة البلا، فقال: آهٍ آهٍ! فقرأها ذلك الخطيب قراءة لا يفهمها هو ولا غيره! وظن أن لفظة (آه (التي تُقال للتوجع أنها رقم (٥١)؛ فقرأها واحدًا وخمسين واحدًا وخمسين!!.

ومن المواقف أن أحد الخطباء كان يخطب على المنبر ، فسقطت منه الأوراق ، وفي هذه الأثناء كان المؤذن قد غلبه النعاس فنام ، فنادى الإمام بالمؤذن ليعطيه الأوراق ، فقال: (أبو فلان) .. فلما سمع المؤذن الصوت فزع ، واستيقظ من النوم وبدأ بالإقامة ظناً منه أن الإمام انتهى من الخطبة.

٩- الاتزان وضبط النفس:

الاتزان يعني الطمأنينة والهدوء، وتجنب إحداث أي حركة في غير محلها.

وقد ذكرنا سابقاً أنه لا ينبغي العبث بملابسك لأنها تلفت الانتباه.

هناك سبب آخر وهو أن ذلك يمنح انطباعاً عن الضعف وقلة الثقة بالنفس.

فالإلقاء السريع المتعجل يفقد المتابعة، كما أنه قد يشوه إخراج الحروف فيختلط بعضها ببعض وتتداخل المعاني وتلتبس العبارات، وقد يؤدي التعجل إلى إهمال الوقوف عند المقاطع ورعاية الفواصل.

وهذا التمهل الذي ندعو إليه لا ينبغي أن يقود إلى هدوء بارد، وتثاقل مميت.

١٠- تغيير نبرة الصوت:

من أسباب ضعف التأثير، وتطرق الملل والسآمة إلى السامعين، أن يتحدث الخطيب بطبقة رتيبة على وتيرة واحدة.

فالأفكار الرئيسية والجمل الهامة ينبغي أن يلاحظ في إلقائها التؤدة وعدم الاستعجال، تمكيناً لاستيعاب السامع لها، وتعزيزاً لأثرها في النفوس.

فالخطيب الناجح يعرف أين يتوقف أثناء خطبته. فإذا مر بفكرة عظيمة يرغب في ترسيخها في أذهان مستمعيه توجه إليهم، وأحدق بعيونهم مباشرة للحظة من دون أن يقول شيئاً.

هذا الصمت المفاجئ له نتيجة الضجة المفاجئة. وهو يجذب الانتباه، ويجعل كل إنسان منتبهاً ومتحفزاً لما سيتلو ذلك الصمت.

وكذا يقال في التوقف بعد كل جملة يراد توكيدها، فهو يضيف إلى قوتها قوة أخرى من خلال الصمت، وذلك أن المعنى يغوص في هذه الأثناء في النفس ويؤدي رسالته.

لكن يجب أن يكون التوقف بشكل طبيعي، ومن دون تكلف ،عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟)) قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً قَالَ: ((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؟)) قَالَ : قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: ((أَنْ لا يُعَذِّبَهُم)) . رواه البخاري ومسلم.

١١- الحركات والإشارات:

للحركات والإشارات أثرها الهام في الخطابة، وهي نوعان:

١) حركات لا إرادية: فالغاضب يقطب جبينه ويعبس وجهه، وذو الحماس تنتفخ أوداجه وتحمر عيناه، ومنهم من تنقبض أصابعه وتنبسط، ومنهم من يعلو صوته حماساً وتفاعلاً، ومنهم من يبكي رقة وخشوعاً.

٢) حركات إرادية: تعكس الانفعال والمشاعر وتعين على مزيد من المتابعة والتوضيح.

وينبغي أن تكون هذه الإشارات والحركات منضبطة بقدر معقول، وانفعال غير متكلف، ومتناسقة مع الشعور الحقيقي.

من الصعوبة إعطاء قواعد محددة في هذا الباب، لأنه يعتمد على مزاج الخطيب، وعلى تحضيره وحماسه وشخصيته وموضوعه، وعلى الجمهور والمناسبة.

وإذا استخدمت الإيماءات والإشارات بمهارة، وبلا تكلف، وكانت ملائمة لمعاني الكلمات المصاحبة لها فإنه من الممكن أن تكون يدا الخطيب أداة عجيبة لإيصال الأفكار وتحريك المشاعر.

١٢- الاتصال البصري والابتسامة:

لا بد من توزيع النظر على الجمهور. فعيناك هما الحبل الذي يربطك بهم، يعرفون من خلاله مدى اهتمامك بهم، وتعرف أنت من خلاله مدى اهتمامهم بما تقول.

وهذا يزيد ثقتك بنفسك ويخلصك من الارتباك والتوتر، كما أنه يفيدك في معرفة ردود فعل المستمعين وانطباعاتهم لتجري على موضوعك أو طريقة إلقائه التعديل المناسب.

والابتسامة من أبرز مظاهر الشخصية، فهي تكسب الثقة في الحال، وتُظهر حسن نية المرء بسرعة.

إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق من صوت اللسان وكانت صفة النبـــي صلى الله عليه وسلم كما يقول أصحاب السير (كان بسّام المحيّا).

كيف لا يكون كذلك وهو القائل (تبسمك في وجه أخيك صدقة)وهذه صدقة لا تكلفك درهم ولا دينار وهي كنز لو عرف الخطيب والداعية كيفية اســتخدامه لأسرت القلوب ولفتحت النفوس .

واسمع لجرير بن عبد الله رضي الله عنه قال(ما رآني رسول الله صــلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي) رواه الشيخان .

١٣- أرنا وجهك، واهتم بالإضاءة:

الناس يهتمون برؤية الخطيب، لأن التغيرات التي تطرأ على تعابير وجهــه هي جزء حقيقي من عملية التعبير عن الذات. وهي تعني في بعض الأحيــان شيئاً أكثر مما تعنيه الكلمات.

ما الإضاءة، فالخطيب العادي ليس لديه أدنى فكرة عــن أهميــة الإضــاءة المناسبة.

دع الضوء يغمر وجهك. إذا وقفت تحت الضوء مباشرة ربما يكــسو الظــل وجهك، وإذا وقفت أمام الضوء مباشرة من المؤكد أن لا يبدو وجهك واضحاً.

أليس من الحكمة إذن أن تختار قبل أن تنهض للخطاب البقعة التي تمنحــك أفضل إنارة ؟.

وأما الأثاث، فالترتيب المثالي هو التخلي عن الأثاث. فلا شيء يلفت الانتباه وراء الخطيب، أو على جانبيه، لا شيء سوى ستارة من القماش.

١٤- استفتاح الخطبة:

من المهم أن تفتتح بمقدمة مثيرة، وبشيء يأسر الانتباه في الحال.

وإذا أردت أن تستخدم مقدمة يجب أن تكون قصيرة كلائحة الإعلان. لأن ذلك يتطابق مع مزاج المستمع للحديث الذي لسان حاله يقول: أعطنا ما عنــدك بسرعة واجلس.

ومن الخطأ الذي يقترفه الخطيب المبتدئ الاعتذار في مقدمته بكونه ليس بخطيب، أو أنه ليس لديه ما يقوله، فهذا الأمر يضعف تفاعل الجمهور معه. لا تفعل ذلك أبداً، بل ابدأ بشيء مثير منذ الجملة الأولى، وليس الثانية أو الثالثة.

اثر انتباه الجماهير بالاتي

١ – قصة مثيرة.

إنها بداية مثيرة جداً، فالنفوس تحب الاستماع إلى القصص والروايات ومتابعة أحداثها أكثر من الكلام النظري المجرد.

٣. سؤال يحرك الأذهان .

من الافتتاحيات المميزة أن يبدأ الخطيب بطرح سؤال لاستدراج الجمهور إلى التفكير، والتعاون معه.

إن استخدام هذا السؤال الافتتاحي هو واحد من أبسط وأضمن الطرق لفتح أذهان جمهورك والدخول إليها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟)) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ فَقَالَ: ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَن يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)). **متفق عليه** .

٤. ضرب الأمثال:

يصعب على المستمع العادي أن يتتبع العبارات المجردة طويلاً. لكن من السهل عليه الاستماع إلى الأمثلة. لماذا إذن لا تبدأ بواحد منها ؟ افتتح بمثل، أثر الاهتمام، ثم تابع تقديم ملاحظاتك العامة.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّمَا

مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)).رواه البخاري.

و عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)) صحيح الجامع.

٥. الاستعراض

من الطرق السهلة لجذب الانتباه استعراض شيء يتطلع إليه المخاطبون.

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَرِيرًا بِشِمَالِهِ وَذَهَبًا بِيَمِينِهِ ثُمَّ رَفَعَ بِهِمَا يَدَيْهِ فَقَالَ: ((إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ))صححه الألباني.

٦. موجز الخطبة (الإجمال قبل التفصيل)

من المقدمات الناجحة أن يقدم الخطيب لمستمعيه عرضاً مجملاً لعناصر الخطبة، ثم يشرع في تفاصيل الخطبة. إن هذه المقدمة ستكون مفتاحاً لأذهان المستمعين، ومعيناً لهم على فهم الخطبة ومتابعة أجزائها .

ومن الطريف في هذا الباب ما روي أن مغفلاً دخل مسجد الكوفة صبيحة وفاة الخليفة المهدي ، فصاح بالناس وقال : مات الخليفة أيها الثقلان.

أمام هذه المقدمة المثيرة حول هذا الخطب العظيم الذي هو حديث الساعة . ظن الناس أن هذا الشاعر سينعى الخليفة إلى الجن والإنس بقصيدة عصماء مطلعها : مات الخليفة أيها الثقلان . سكت الناس وأحدقوا بعيونهم وأنصتوا لهذا المغفل فأكمل البيت فقال: فكأنني أفطرت في رمضان . فضحك الناس ، وعلموا أن الرجل مغفل أحمق.

١٥- المقارنة بين الواقع والمأمول:

في نقد الأخطاء، وتقويم السلوكيات قد يسأم الناس إذا اقتصر الناقد على

الأفكار النظرية فقط.

لكن قلما يفشل في جذب انتباههم والتأثير في نفوسهم إذا عرض بعض المشاهد من أحوالهم الملموسة، وقارن بين هذه المشاهد ومشاهد من الأحوال الصحيحة المأمولة.

إن أكثر الأشياء إثارة لاهتمامنا هي أحوالنا التي نقع فيها. إذ كل واحد منا يشعر في هذه الحالة بأنه معني بهذا الكلام دون سواه.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا؟! فَقَالَ: ((قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ.)) رواه البخاري.

١٦- حضر مبكرا:

بعض الخطباء لا يعد للخطبة إلا في صبح الجمعة أو قبلها بسويعات والذي يفعل ذلك إن كان فعله له سبب يبيح ذلك له فالضرورة لها أحكامها أما إذا كان ديدنه ذلك أو يقتلع إحدى الخطب ثم يلقيها من إلى المنبر فهذا ممن لا يحمل دعوة ولا رسالة وإنما اتخذ المنبر عادةً أو تكسباً فلا حول ولا قوة إلا بالله . فالواجب على الخطيب أن يضع جل همه وتفكيره في خطبة الجمعة ويفرغ لها الوقت الطويل لإعدادها الإعداد المناسب حتى يبرأ الذمة ويحصل المقصود .

١٧- عش مع الخطبة طوال الأسبوع:

الخطيب المؤثر يحدد الظاهرة التي يريد أن يتناولها، فيعيش معها سحابة النهار وجزءًا من الليل، فيستغرق جل همه ومحتوى فكره مدندنًا حولها،

ومصغيًا إليها، حتى إذا غمرت عقله وسرت في شرايينه تحرك قلمه الدافئ يحفر أفكارًا، حتى إذا وقف على المنبر فاسترجع ما كتب كان مصيبًا، في حسن الأداء وعمق الربط بين الفكرة والتي تليها، دون أن ينسى استمالة القلوب أو تهييج المشاعر وإيقاظ الوجدان.

١٨- الخاتمة:

اعلم أخي الخطيب أن الأعمال بالخواتيم ورب خاتمة أفسدت أو أصلحت ما قبلها فأجعلها قوية ومركزة ومؤثرة لترسخ في الأذهان ولتبقى ذكرى طيبة في نفوس المستمعين .

فبعد أن يفرغ الخطيب من عرض موضوعه، وسوق أدلته، وضرب أمثلته، وبيان دروسه، وعبره، وترهيبه، يحسن أن يُنهي خطبته بخاتمة مناسبة تكون قوية في تعبيرها وتأثيرها، لأنها آخر ما يطرق سمع السامع ويبقى في ذهنه.

مقترحات للخاتمة:

١- آيات كريمة أو حديث نبوي:

يمكن أن يختم الخطيب بآيات قرآنية لم يسقها من قبل تجمع موضوعه في الترغيب والترهيب أو التدليل والإثبات، وقد تكون حديثاً نبوياً مناسباً.

٢. دعاء:

بين يدي الخطيب طائفة من الأدعية القرآنية أو النبوية المأثورة، يمكن أن يختار منها ما يناسب الموضوع، ويجعله خاتمة لخطبته. كما يمكن أن ينشئ من دعائه الخاص ما يدعم الهدف المراد من الخطبة ويقويه في نفوس المستمعين.

٣. تلخيص الأفكار:

الخطيب ميال لتغطية أفكار كثيرة حتى في خطاب قصير تتراوح مدته بين ثلاث أو خمس دقائق.

ومع ذلك، قلة من الخطباء تدرك ذلك. فهي تفترض أن تلك الأفكار واضحة وجلية في أذهانها، وبالتالي هي واضحة في أذهان المستمعين.

لكن الأمر يختلف كلياً لأن الخطيب كان قد فكر ملياً بما سيقوله. بينما أفكاره كلها هي جديدة بالنسبة للمستمع، بعضها يعلق في الذهن، ومعظمها يتدحرج باضطراب. فعلى الخطيب أن يتدارك هذا الأمر بأن يختتم خطبته بخاتمة، تجمع أفكاره، وتلخص موضوعه، بعبارات مغايرة، وطريقة مختصرة.

وقد قيل: أخبرهم أولاً بما تنوي إخبارهم به، ثم أخبرهم، ثم أخبرهم بما أخبرتهم.

٤. مقتطفات شعرية:

وفي الحقيقة، إذا استطعت الحصول على قطعة شعرية ملائمة لنهايتك، يكون الأمر مثالياً. فهي تمنحك النكهة المطلوبة، وستمنحك الوقار والتفرد والجمال.

ودواوين الشعر كثيرة جداً، والخطيب الناجح ينتقي منها أروع الشعر وأعذبه.

وإذا أعياه البحث في الدواوين أو ضاق به الوقت فليستعن بالكتب التي تعتني بجمع وتصنيف المقطوعات الشعرية الجيدة حسب المواضيع المختلفة.

خامساً : فن الإلقاء وعيوب الخطبة والخطيب

أولا : فن الإلقاء ومواصفاته :

تكمن أهمية فن الإلقاء وكونه وسيلة عظيمة في تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه بل هو وسيلة مهمة لكل من يريد الوصول إلى قلوب وعقول الناس أياً كان مقصده وغايته.

قال الله تعالى: عن أصل الرسالة: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) **سورة لقمان** .

فالبيان هو الوسيلة الأولى في الدعوة إلى الله تعالى، إذ كان الأنبياء عليهم السلام يُرسَلون بلسان أقوامهم ليبينوا لهم الحق، ويقيموا عليهم الحجة، بأوضح عبارة، وأجمل أسلوب، يقول فضيلة الشيخ عطية محمد سالم –رحمه الله تعالى–عن البيان الوارد في الآية: (أي البيان الذي يصحبه الإقناع، ويثمر الاستجابة). ولا يكون ذلك إلا بالإلقاء الجيد الناجح.

وكذلك كان من الدواعي لذلك ما نراه من فقر في الأسلوب وضعف في الأداء لدى فئة ليست بقليلة من الدعاة والخطباء والمدرسين وغيرهم ممن يتعاطى هذا الأمر مما سبب نفوراً لدى الناس من سماع الخير أو ضعفا في استفادتهم منه.

وللإلقاء أهمية كبيرة فهو الوسيلة الأولى التي يمكن للداعية أن يستخدمها لإيصال ما يريد إيصاله للآخرين، ولا تعتبر الوسائل الحديثة والمبتكرة للتواصل مع الغير مغنية عنه وإنما هي وسائل مساعدة ينبغي الاستفادة منها واستغلالها.

وقد استخدم أسلوب الإلقاء في الدعوة أفضل البشر وهم الرسل وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ودخل الناس بسبب ذلك في دين الله

أفواجا، وكذلك استخدمه خلفاء رسولنا وكثير من أصحابه رضي الله عنهم. بل قد استفاد منها الرؤساء والزعماء من كل جنس ولون وكانت وسيلتهم في كسب قلوب أتباعهم والتفافهم حولهم ويمكننا أن نقول جازمين أنه ما من زعيم أو قائد برز اسمه واشتهر ذكره إلا وله في فن الإلقاء والخطابة نصيب وافر إلا ما ندر.

وهناك خطوات الوصول للإلقاء الناجح منها :

يتكون (فن الإعداد والإلقاء) من مقدمة وثلاث مراحل .

المقدمة : حول أهمية هذا الموضوع ، وماهية الإلقاء ومجالاته ، والهدف منه.

المرحلة الأولى) مرحلة الإعداد) : وتتضمن مهارات الإعداد بدءاً باختيار الموضوع ، وخطوات التحضير ، وأقسام الموضوع الثلاثة (المقدمة ، المتن ، الخاتمة.

المرحلة الثانية (مرحلة الاستحضار) : وتتضمن مهارات استحضار الموضوع عند الإلقاء سواء في الإلقاء الارتجالي أو المقروء.

المرحلة الثالثة (مرحلة الإلقاء) : وتتضمن طرق كسر حاجز الخوف واكتساب الثقة ، وتتضمن أيضاً مهارات إلقاء الموضوع وعرضه على الجمهور ، والكلام على لغة البدن ، والاتصال البصري ، وغيرها من المهارات.

وهناك مواصفات للإلقاء الناجح هي :

أولاً:- المواصفات الكلامية -:

١ــ معدل سرعة الكلام :لا يكن كلامك سريعا لا يفهم ولا بطيئاً فيمل ، وإنما ابتغ بين ذلك سبيلا. عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام بيِّنٍ فَصل ، يحفظه من جلس إليه . **مختصر الشمائل المحمدية رقم الحديث ١٩١ صفحه**

١١٩ .

وثبت عن أم سلمه قالت : ((كان النبي يقطع قراءته يقول)) ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ثم يقف ثم يقول ﴿ الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف وكان يقرأ ﴿مالك يوم الدين﴾..... الخ الحديث. **الشمائل المحمدية برقم ٧٣٠ صفحه ١٦٦ .**

٢ــ التكرار للمعلومة المهمة :عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا، لتعقل عنه)) **الشمائل المحمدية برقم ١٩٣ صفحه ١٣٠ .**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ويل للأعقاب من النار –مرتين أو ثلاثا)) **صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥-٦ .**

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ((ألا أحدثكم بأكبر الكبائر – ثلاثا -؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا فقال: وشهادة الزور. قال: فما زال يقولها حتى قلنا ليته سكت.[**مختصر الشمائل المحمدية للألباني رقم ١٠٤ صفحه ٧٤ .**

٣ــ السكتة الخفيفة قبل المعلومة المهمة: عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ، قال: أي شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا: بلى. قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا إلى يوم تلقون ربكم ...الخ الحديث . **إرواء الغليل رقم ١٠ صفحه ٤٣ .**

٤ــ تكلم ببطء عند المعلومة المهمة : فإن ذلك أدعى لجذب انتباه المستمعين ، وأبلغ في إيصال المعلومة المهمة إليهم .

٥ــ تجنب السكتات الطويلة من غير حاجة : كتلك التي تفعل عند تقليب الأوراق أو البحث عن ورقة معينة أو استذكار نص معين من القرآن أو الحديث أو غير ذلك .

٦ــ تجنب تكرار كلمة معينة بكثرة لغير حاجة : نحو: (يعني، إيش ، عرفت ، تعرف ، سمعت ، أقول ، شفت كيف، في الحقيقة، في الواقع، هاه... الخ) .

٧ــ ارتفاع الصوت: ينبغي أن ترفع صوتك بحيث تسمع جميع المستمعين دون أن تزعجهم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨ــ ارفع الصوت عند المعلومة المهمة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته : ((ويل للأعقاب من النار–مرتين أو ثلاثا- " . **صحيح الجامع برقم ٧٠٠٩ مجلد ٥ – ٦** .

وأخرج مسلم من رواية جابر رضي الله عنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته" **صحيح النسائي برقم ١٤٨٧ المجلد الأول صفحه ٣٤٥** .

٩ــ لا يكن صوتك رتيبا مملا في الشدة والحدة :فإن التنويع في شدة الصوت بين الارتفاع والانخفاض، وفي الحدة ترقيقا وتفخيما، يمنع تسلل الملل والنعاس إلى المستمعين، ويشد انتباههم إليك شدًّا .

ثانيا:– المؤثرات غير الكلامية -:

١ــ المظهر العام :لا بد أن يوافق سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من إعفاء اللحية وجعل أسفل الثوب فوق الكعبين بالنسبة للرجال و نظافة الملبس وحسن الهندام، هذا بالإضافة إلى كونه مقبولا لدى المستمعين من

حيث العرف والتقاليد فإن الله سبحانه وتعالى رد على المشركين عندما اعترضوا على كون النبي المرسل إليهم بشرا وطلبوا أن يكون ملكا بقوله : " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون"[الأنعام: ٩] .

٢ــ توزيع النظرات :ينبغي الإقبال بالوجه والنظر إلى جميع المستمعين وعدم النظر فقط في الأوراق أو إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى جهة واحدة أو إلى شخص معين ، فإن ذلك أدعى لجذب انتباه المستمعين جميعهم إليك ؛ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال((: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة))رواه ابن ماجه و صححه الألباني رقم الحديث ٤٣ المجلد الأول صفحه ١٤ .

، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم ، يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه علي ، حتى ظننت أني خير القوم فقلت: يا رسول الله، أنا خير أو أبو بكر ؟ قال : أبو بكر، فقلت يا رسول الله، أنا خير أو عمر؟ فقال: عمر، فقلت يا رسول الله، أنا خير أو عثمان؟ قال: عثمان. فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقني، فلوددت أني لم أكن سألته)) مختصر الشمائل المحمدية حسنه الألباني برقم ٣٩٥ .

٣ــ تعبيرات الوجه :ينبغي على الملقي أن يتفاعل مع ما يقول فإن كان حديثه عما يفرح تهلل وجهه فرحا . وان كان عما يحزن بان الحزن على وجه. وإن كان عما يغضب احمرت وجنتاه من الغضب. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقول صلى الله عليه وسلم : ((بُعثت أنا والساعة كهاتين)) وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه .....الخ الحديث[صحيح النسائي و صححه الألباني برقم الحديث ١٤٨٧ المجلد الأول صفحه ٣٤٥ .

وعن فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس أنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد، قالت : فصليت مع رسول الله، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال : ((ليلزم كل إنسان مصلاه))، ثم قال : ((أتدرون لم جمعتكم ؟)) قالوا: الله ورسوله اعلم، قال : ((إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميما الداري، كان رجلا نصرانيا فجاء، فبايع وأسلم . وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال)) [**إلى آخر الحديث رواه مسلم وصحيح الجامع برقم ٣٥٠٨**] .

٤ــ تحريك اليد والجسم :عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : يقول صلى الله عليه وسلم : ((بُعثت أنا والساعة كهاتين – ويقرن بين إصبعيه السبابة و الوسطى)) **صحيح ابن ماجه رقم الحديث ٤٣ المجلد الأول صفحه ١٤** . ((وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب يشير بإصبعه المسبحة)) **مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ٤١٤ صفحه ١١٤** .

٥ــ وضع الوقوف أو الجلوس :((كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب وهو واقف على المنبر ويتكئ أحيانا على عصا أو سيف أو على رجل)) [**صحيح سنن النسائي ١٤٨٤ المجلد الأول صفحه ٣٤٥**] .

وكان يحدث أصحابه وهو جالس، و ربما جلس متكئاً أحيانا .

وقد مر بنا حديث ((وقول الزور)) وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم متكئاً ثم جلس .

٦ــ الحركة والانتقال :

ذهاباً وإياباً حسب ما يناسب الحال لأنه أدعى لجذب انتباه المستمعين .

ثانيا: من عيوب الخطبة:

هناك أمور سلبية يحسن بالخطباء الأفاضل أن ينتبهوا إليها :

أولا: عيوب في أصل الخطبة

١ ــ الطول الــممل والقصر الــمخل:

إن الــمقصود من الخطبة هو إفهام الــمخاطبين وإقناعهم بمضمون الكــلام الــموجه إليهم ، فكل ما يحول دون ذلك عيب يجب اجتنابه ، وأعظــم ذلــك الإطالة التي هي أدعى لسقطات اللسان ، وتبعــث الــــملل والــسآمة فــي الإنسان.

وقد ذكر بعض أهل العلــم أن من الــمستحسن أن تكون الخطبة في الأحوال العادية في حدود عشرين دقيقة ، ومن الــمهم مراعاة الحاضرين فقد يكون بعض الــمسلــمين في برد شديد خارج الــمكان الدافئ ، كمــا أنهــم قــد يكونون في حر شديد خارج الــمكان الــمكيف كما أن بعضهم قــد يجــيء مبكرًا إلى الــمسجد وقد يضايقه البول إذا ما أطيلت الخطبة.

لكن ينبغي للخطيب وهو يراعي مجانبة هذا العيب أن يجانب أيضًا الوقوع في ضدّه وهو القِصر الــمخلّ ، وخير الأمور الوسط ، عَنْ جَــابِرِ بْــنِ سَــمُرَةَ تقَالَ:كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ص فَكَانَتْ صَــلَاتُهُ قَــصْدًا وَخُطْبَتُــهُ قَــصْدًا »(رواه مسلم).

٢ ــ خلوها من نصوص الكتاب والسنة:

وقد عد بعض الفقهاء من أركان الخطبة ذكر آية من كتاب الله تعالى ، فــلا يَحْسُن بالخطيب أن يخلي خطبته من القــرآن الكــريم ، وكــذا مــن ســنة الــمصطفى ص؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة وسلس الــموقع.

٣ ــ كثرة الشعر فيها:وقد يصل الحد ببعض الخطباء إلى أن يُنــزل الــشعر منزلة الكتاب والسنة ، فيستدل به كما يستدل بالكتاب والسنة ، بل بعضهم قد

لا يستدل إلا به ، وهذا عيب كبير وطريق إلى تقرير الباطل إذا كان ذلك الشعر مشتملًا على باطل.

على أن الاستشهاد بالشعر الذي له وقع في النفس ، ويؤيد المعنى الذي نسج له الكلام لا بأس به إذا كان بقدر وناسب المقام.

٤ ــ اشتمالها على ألفاظ منكرة شرعًا أو عرفًا:

مثال الألفاظ المنكرة شرعًا أن يقول:«ما شاء الله وشاء فلان» ، أو يقسم بغير الله تعالى أو غير ذلك من الألفاظ المنهية.

والمراد بالألفاظ المنكرة عرفًا ما اتفقت طباع القوم على استقباحه واستهجانه ، فعلى الخطيب أن يتجنبه وأن يعدل عنه إلى بديل يعرفه القوم ولا ينكرونه ، وهذا يختلف باختلاف البقاع والأصقاع ، فربّ لفظ حسن شريف عند قوم قبيح هجين عند آخرين ، وعليه يلزم من أراد أن يخطب في قوم أن يعرف لسانهم وعاداتهم وأعرافهم حتى لا يقع فيما يصدهم عنه ويسقطه في أعينهم.

٥ ــ اشتمالها على باطل:

وهذا من أخطر العيوب وأشدها ضررًا على الناس ، وبخاصة إذا كان الخطيب مفوهًا ، فيتوصل بحسن كلامه وتنميق عباراته إلى تقرير باطل كعقيدة فاسدة ، أو بدعة محدثة ، أو معاملة محرمة ، أو معصية لله ورسوله ص.

٦ ــ اشتمالها على أحاديث ضعيفة أو موضوعة:

وهذا العيب سببه عدم التحرّي والتثبت من صحة الحديث ، ويخشى على من وقع في مثل هذا أن يتناوله الوعيد الذي ذكره رسول الله صفي قوله:«مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»**(رواه مسلم)**.

قال الإمام النووي/: ضَبَطْنَاهُ :(يُرَى) بِضَمِّ الْيَاءِ وَالْكَاذِبِينَ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِ النُّونِ عَلَى الْجَمْعِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُور فِي اللَّفْظَتَيْنِ.وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ

الْأَصْبَهَانِيّ فِي كِتَابِهِ الْمسْتَخْرَجِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِم حَدِيثُ سَمُرَةَ (الْكَاذِبَيْنِ) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِ النُّونِ عَلَى التَّثْنِيَةِ».

ويشتد هذا العيب ويتفاقم إذا كان موضوع الخطبة كله مبنيًا على حديث ضعيف أو موضوع ، كمن يخطب في قصة ثعلبة بن حاطب ويستخرج منها العبر والعظات ، وهي غير ثابتة ، أو يخطب في قصة الغرانيق وهي أيضًا لا تثبت.

٧ ــ طغيان الأسلوب العلمي على الأسلوب الأدبي:

من مظاهر هذا العيب أن يستعمل الخطيب مصطلحات علمية دقيقة لا يدركها عامة الناس.

ومن مظاهره أيضًا التوسع في تخريج الأحاديث وعزوها والكلام على طرقها وعللها.

ومن مظاهره أيضًا خلو الخطبة من الأساليب الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب والدعاء وغير ذلك ، مما يخرجها من حد الخطابة إلى حد المقالة.

٨ ــ عدم إيفاء الموضوع حقه:

وذلك بأن لا يتناول جميع عناصره ، أو أن يستطرد ويفرع حتى يخرج عن الموضوع الذي يخطب من أجله ، أو أن يشتت الموضوع ويبعثر الأفكار ولا يربط بينها.

٩ ــ خلوها من الإرشاد والتوجيه الفوري:

وذلك بأن يغض الطرف عمن يتخطى رقاب الناس ، فلا ينهاه عن ذلك ، ويسكت عمن جلس دون أن يركع ركعتين فلا يأمره بهما ، ويحصل بين يديه منكر فلا ينهى عنه.

١١ ــ اشتمالها على ألفاظ ثابتة لا تتغير ، يفتتح بها ويختم بها وكأنها سنة ماضية:

وذلك كقولهم: «أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...» ، وقولهم: «بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...» وقولهم: « فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له...» وغيرها من العبارات التي يلتزم بها بعض الخطباء كأنها ركن من أركان الخطبة ، وواجب من واجباتها.

١٢ ــ غلبة الترخيص عليها:

قال الحافظ ابن حجر/:«وَفِي الْحَدِيث (أي حديث صلاة الاستسقاء) تَرْجِيح التَّخْوِيف فِي الْخُطْبَة عَلَى التَّوَسُّع فِي التَّرْخِيص لِمَا فِي ذِكْر الرُّخَص مِنْ مُلَاءَمَة النُّفُوس لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ الشَّهْوَة ، وَالطَّبِيب الْحَاذِق يُقَابِل الْعِلَّة بِمَا يُضَادّهَا لَا بِمَا يَزِيدهَا. » (فتح الباري :٦١٨/٢).

١٣- عدم الاهتمام بالخطبة الثانية :

بعض الخطباء الخطبة الثانية لديه كلمات معدودة تتكرر كل جمعة ، وأصبح يحفظها الصغير والكبير ممن يؤم مسجده.

ينبغي على الخطيب الاهتمام بالخطبة الثانية مثلما يهتم بالخطبة الأولى ، فلا يقتصر على شيء معين لا يزيد فيه ولا ينقص منه ؛ فإن ذلك مدعاة للملل ، وله أن يجعل الثانية امتدادا لموضوع الأولى كما أن له أن يجعل الأولى تهتم بموضوع معين والثانية يجعلها علاجًا لمشكلة معينة أو توضيحًا لمسألة فقهية أو حديثًا عن أحوال المسلمين وما يتجدد في المجتمع الإسلامي مما هو بحاجة إلى طرق وبيان وتوضيح.

ومن المستحسن أن يغير الخطيب في نمط الخطبة الثانية فتارة يجعل الثانية مكملة للأولى ، وتارة يتحدث في الثانية عن مسألة فقهية ، أو يتحدث عن بعض أحوال المسلمين مما يحتاج إلى معالجة ونحو ذلك ؛ لأن التغيير ضمن الحدود الشرعية أدعى لتقبل الناس وارتياحهم وشعورهم بأن خطيبهم حريص على إفادتهم فوائد متنوعة.

ثالثا: من عيوب الخطيب:

١ – عدم العناية باللغة العربية : فمن العيوب المستهجنة لدى العلماء اللحن ، وأفحشه ما كان في آيةٍ أو حديث ، ثم ما غيّر المعنى ، ثم ما كان في كلام الغير.

وإن أعظم أسبابِ اللحنِ الجهلُ بعلمَي النحو والصرف. وعلاجه التعرف على اللغة العربية وقراءة الخطبة قبل إلقائها أكثر من مرة وضبط الحروف التي تحتاج إلى ضبط بالشكل.ولذا ينبغي للخطيب أن يتعلم من النحو واللغة ما يقوّم به لسانه ، ويَسلم به من هذه الآفة.

٢ ــ التصحيف:وأكثر ما يقع لمن يقرأ من كتاب ، فيصحف نظره بسبب رداءة الخط أو ضعف البصر أو عدم استيعاب ما يقرأ أو عدم التركيز فيه أو غير ذلك من الأسباب ، وقد حصل لبعض الفضلاء أن قال في خطبته وهو يقرأ من ورقة:«ومن ترك واجبًا من واجبات الحج متعمدًا يأثم ويَكْفُر» بتخفيف الفاء (من الكفر) ، فنبّهه بعض الناس بعد قضاء صلاته ، فبادر إلى تصحيح خطئه ، وقال: «الصواب: يأثم ويُكَفّر» أي من الكفارة.

٣ ــ اللّفف والعجلة:والمراد باللّفف التباطؤ في الكلام حتى كأن لسانه قد الْتفَّ ، والمراد بالعجلة السرعة في الإلقاء ، فكما أن الإسراع مذموم لما فيه من تفويت الفهم على السامع ، فكذلك التباطؤ مذموم لما فيه من بعث الملل والضجر في قلوب السامعين ، والسنة الاقتصاد في ذلك ، فعَنْ عَائِشَةَ ل قَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ص يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا» (**حسن رواه الترمذي**)

(يَسْرُدُ)السَّرْدُ هُوَ الْإِتْيَانُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْوَلَاءِ وَالِاسْتِعْجَالُ فِيهِ.(سَرْدَكُمْ) أَيْ كَسَرْدِكُمْ ، وَالمعْنَى لم يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ص يُتَابِعُ الْحَدِيثَ اِسْتِعْجَالًا بَعْضَهُ إِثْرَ بَعْضٍ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ عَلَى المسْتَمِعِ.

وقد تكون سرعة الإلقاء طبعًا في الخطيب وقد يكون سببها طول موضوع الخطبة ، أو القراءة من كتاب.

٤ ــ كثرة الحركة:وذلك كالعبث باللحية أو الخاتم أو الساعة أو النظارات أو الثوب أو العمامة ، فإنها منقصة من هيبة الخطيب ، ومدعاة للازدراء والاحتقار.

فينبغي للخطيب أن يستشعر حرمة المقام ويراعي لحظ المخاطبين فيلزم السمت والسكون والوقار.

والحركة اليسيرة الموزونة لا بأس بها ، بل قد تكون أحيانًا مطلوبة لزيادة الإفهام ، وهي التي كان النبي ص يستعملها فعن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ تقَالَ:رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ص قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ : «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» **(رواه البخاري ومسلم)**.

وعن مَالِكٌ عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْغَيْثِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ص:« كَافِلُ الْيَتِيمِ ــ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ ــ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى» **(رواه مسلم)**.

ومن ذلك إشارته ص بالسبابة إلى السماء ، وغير ذلك.

٥ ــ الارتعاش والرّعدة والعرق:وهذا العيب من أشد العيوب وطأة على الخطباء ، لأنه يعتري الخطيب قسرًا ، ويغلبه قهرًا ، فإذا اعتراه أفقده توازنه ، وأوقعه في الاضطراب الشديد ، وقد يصل به الأمر إلى أن يضطر إلى قطع خطبته فلا يستطيع إكمالها مهما حاول ، حتى إن بعضهم لا يقوى على القيام.

وهذا العيب غالبًا ما يعتري المبتدئين الذين لم يستعدوا نفسيًا ولم يتدربوا لهذا المقام ، وقد يعتري غير المبتدئين وذلك إذا علم أن من بين الحضور أناسًا يوقّرهم ويعظمهم ويُكبرُهم.

٦ ــ عدم التفاعل مع الخطبة:لا يخفى أن الخطبة قد تشتمل على فنون شتى متغايرة ؛ فقد تشتمل على الترغيب والترهيب ، وعلى التحذير والتبشير ، وقد تشتمل على ما يقتضي الحزن أو الفرح ، أو الغضب أو الخوف ،

والخطيب الـــموفق يعطي كل مقام حقه من الانفعال والتغيّر.

وسبب هذا العيب في الغالب هو خروج الكلام من اللسان دون القلب ، ومتى حصل ذلك لـــم تُؤتِ الخطبة ثمارها.

٧ ــ استغلال الـــمنبر لأغراض شخصية:

وهذا العيب من أخسّ العيوب ، ويقع فيه بعض الخطباء لقلّة دينه وضـــعف إيمانه ، أو لضعف شخصيته ، ومن صوره أن ينتقم الخطيـــب لنفـــسه ، أو يدافع على نفسه ، أو يدعو إلى نفسه ، وهـــذا مـــن أكبـــر العـــدوان علـــى الـــمخاطبين.

قال بعض الفضلاء:«إن شرّ السُرَّاق الخطباء الـــذين يـــستغلون الـــــمنبر لأغراضهم الشخصية ؛ لأنهم يسرقون أعمار الناس ، فهم شر ممن يـــسرق أموالهم».

ومن مضار هذا العيب:

الإضرار بالدعوة.

عدم أداء الواجب الشرعي.

الـــمساس بقيمة الخطيب ومكانته.

انتهاك حرمة الـــمنبر وتعطيل مهمته.

٨ ــ استغلال الـــمنبر لأغراض حزبية أو طائفية أو عصبية:

وذلك بنشر أهداف ومبادئ حزب ما ، أو فرقة ما من خلال الـــمنبر ، وهـــذا كله على حساب الدين والدعوة ، فهو منَافٍ للغرض الذي أسس مـــن أجلـــه الـــمنبر ، بل هو مناف كذلك لرسالة الإمام الشرعية.

٩ ــ محاكاة غيره من الخطباء في طريقة الإلقاء ، وفي النبرات والسكتات ، وفي الحركات والسكنات:

ومن أسباب هذا العيب ضعف شخصية الخطيب أو ولوعه بمن يحاكي ويقلد ، ومن أضراره خروج الخطبة من كونها حقيقية إلـــى الـــصورية ، فيـــصير

الخطيب كأنه ممثل.

وقد عاب المتقدمون الخطابة بخطب الغير ، فكيف بمن يحاكي غيره من الخطباء.

١٠-تتبع الغريب:من العيوب التي يقع فيها بعض الخطباء تتبع الغريب من الألفاظ ، فإن هذا منافٍ للمقصود من الخطبة فإن مدارَ أمرِ الخطابة على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم فكلما كان اللسان أبْيَنَ كان أحسن ، ولا يعني هذا أن يستعمل الهجين العامي ، والساقط السوقي ، وإنما يستعمل ما يوصل إلى المطلوب ، ويختار للمعاني الجليلة الألفاظ النبيلة.

١١ ــ الجفاء والغلظة والقسوة على المخاطبين:

وذلك بتوجيه الألفاظ النابية وأصناف الشتائم وألوان السباب إليهم وتنزيل نصوص الوعيد عليهم ، واحتقارهم والتكبر والتعالي عليهم ، وجرح مشاعرهم ، من ذلك مثلًا أن يقول: « إن أبناءكم قد بلغوا منتهى سوء التربية والخلق وإن أزواجكم قد خرجن عن حدود الأدب...»

و ينبغي له إذا اضطر إلى مثل هذا الكلام أن يدخل نفسه في جماعتهم ، وأن يشعرهم بأنه فرد من أفرادهم ، فيقول: « إن أبناءنا... وإن نساءنا...».

ومن مساوئ هذه الآفة أن يمقت الناسُ الخطيبَ فلا يُصغُون إلى كلامه ولا يستفيدون من وعظه ، بالإضافة إلى ما يلزم من ذلك من تزكية الخطيب لنفسه وإعجابه بها ، واغتراره وكبره.

١٢ ــ عدم الاعتناء بالهيئة:

وهذا خلاف السنة فإذا كان من السنة لعموم الناس يوم الجمعة أن يغتسلوا وأن يستنّوا وأن يتطيبّوا وأن يلبسوا من جميل الثياب ، فكيف بالخطيب الذي ترمقه الأبصار وتتجه إليه الأنظار؟!

وإن الخطيب إذا ابتذل في مظهره احتقره الناس ، وربما أهانوه ، وصُرفوا عن الاشتغال بالإنصات إليه إلى الاشتغال بالنظر إلى هيئته.

وكما أن الابتذال في الهيئة عيب ومذموم فكذلك الاعتناء الزائد على المشروع والخارج عن العرف ، والذي ينبغي للخطيب الاعتدال في ذلك وأن لا يخرج عن المعروف المألوف.

١٣ ــ الصوت النمطي المطرد على وتيرة واحدة:

وذلك كأن يستوي عنده الاستفهام والتعجب والإنكار والإخبار والأمر وغير ذلك ، ويستوي عنده أيضًا مقام الغضب ومقام الرضا ، ومقام الفرح ومقام الحزن ، ومن أسباب هذا العيب عدم تفاعله مع الموضوع أو عدم استيعابه له.

ومن أضراره أنه يصعب بسببه فهم كلامه ، ويبعث الملل في نفوس السامعين ويقذف فيهم النعاس ، وتشرد أذهانهم لأنه ليس في طريقة الإلقاء ما يشدهم ويلفت انتباههم.

١٤ ــ مناقضةُ لسانِه لحالِه:

وهذا من أعظم العيوب وأخطرها ، وأشدها ضررًا على الخطيب وعلى الدعوة ، وما أكثر الآيات والأحاديث التي تذم الذي يقول ما لا يفعل ، وتبين ما له من الوعيد يوم القيامة.

ثم إن ضررها على الدعوة محقق لأن الناس ينظرون إلى الأفعال أكثر من نظرهم إلى الأقوال.فإذا وجدوا تنافرًا بينهما كان ذلك فتنة لهم.

١٥ ــ النحنحة والسعلة:

وهذه الآفة تكون عيبًا إذا تكرر صدورها من الخطيب ؛ بحيث تقطع كلامه ، وتقلل الفائدة من خطبته.

١٦ – التركيز على السلبيات عند المصلين وكثرة الحديث حولها :

إن ترديد السلبيات وتكرارها يحطم جوانب الأمل لدى الفرد السامع حيث يتصور نفسه أنه كتلة من الأخطاء والعيوب والنقص ، وقد تكون نظرته إلى الخطيب الذي يسمع خطبته نظرة غير مقبولة فينصرف عن سماع ما يقول

ولا يحاول الاستفادة ، ولقد جاءت النصوص الشرعية ناهيــة عــن اليــأس والقنوط والتيئيس والتقنيط وآمرة بالتيسير والتبشير.

إن التنبيه على الأخطاء والعيوب مطلوب ولكن ليكن بطريقة لبقة لا سخرية فيها ولا استفزاز.

١٧ – الاقتصار على بعض الجوانب في الإسلام حيــث يكــون الخطيــب ذا اهتمام بشيء معين مثلا بحيث يكثر الحديث حوله دائمًا.

١٨ – تجريح الناس وتفسيقهم ووصفهم بالخطأ :إن مما لا شــك فيــه أن النفوس تشمئز من النيل من الأشخاص الــمعينين ، وأن الولوغ في أعراض الناس أمر قبيح لا يقرّه من عنده دين أو خلق ، وكان هدي النبــي ص إذا رأى من أحد شيئًا يكره يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

إن التلــميح يغني عن التصريح وإن الإشارة تغني عن العبــارة ، وإن آداب الإسلام يجب أن يراعيها الــمسلــمون لا سيما من يعلون الــمنابر فهم أولى بتطبيق تعاليم الشريعة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
أولا : مفهوم الخطبة وخصائصها	٦
١- مفهوم الخطابة ونشأتها	٦
٢- أهمية الخطابة وآثارها	٩
٣- طرق تحصيل الخطابة	١٠
٤- خصائص الخطابة	١١
ثانيا : كيفية إعداد الخطبة	١٤
ثالثا : الأساليب النبوية في الخطبة	٢٥
رابعاً : صفات الخطيب وعناصر نجاح الخطبة	٢٧
أ – صفات الخطيب	٢٧
أولاً :الإخلاص والشعور بالمسؤولية	٢٧
ثانياً : الاستعانة بالله تعالى	٢٨
ثالثاً : الموهبة	٢٩
رابعاً : الرصيد العلمي والزاد الثقافي	٣٠
خامسا :القدوة الحسنة	٣٢
سادسا : الشجاعة	٣٤
سابعاً : مجانبة مداخل الشيطان	٣٥
ثامناً : فصاحة اللسان وجودة النطق	٣٦
تاسعاً : القناعة بما يدعو إليه	٣٩
عاشراً : اختيار مواضيع من واقع الحياة	٣٩
ب– عناصر نجاح الخطبة	٤١

١- عدم الإطالة في الخطبة	٤١
٢- اغتنام الفرص	٤١
٣- التكرار وحسن البيان	٤١
٤- إثارة العواطف	٤٢
٥- الإلمام بالموضوع	٤٢
٦- المران والتدريب	٤٣
٧- البعد عن التقليد والتقمص	٤٣
٨- حضر موضوعك جيدا	٤٣
٩- الاتزان وضبط النفس	٤٤
١٠- تغيير نبرة الصوت	٤٥
١١- الحركات والإشارات	٤٦
١٢- الاتصال البصري والابتسامة	٤٦
١٣- أرنا وجهك، واهتم بالإضاءة	٤٧
١٤- استفتاح الخطبة	٤٨
١٥- المقارنة بين الواقع والمأمول	٤٩
١٦- حضر مبكرا	٥٠
١٧- يعيش مع الخطبة طوال الأسبوع	٥٠
١٨- الخاتمة	٥١
خامساً : فن الإلقاء وعيوب الخطبة والخطيب	٥٣
أولا : فن الإلقاء ومواصفاته	٥٣
ثانيا : من عيوب الخطبة	٥٩
ثالثا : من عيوب الخطيب	٦٣
الفهرس	٧٠